محاضرات ملتقى المنهجية 02 علوم الاعلام و الاتصال ا-السنة الثالثة لسانس

-المنهج التاريخي :

1- تعريف المنهج التاريخي:

المنهج التاريخي هو ذلك المنهج الذي يستخدم في دراسة التاريخ بمعناه العام و الذي يتمثل في دراسة الماضي بمختلف أحداثه و ظواهره و كذلك دراسة التاريخ بمعناه الخاص و الذي يعني البحث في مجمل حياة البشر الماضية و ما تشتمل عليه من علاقات بين الأحداث و المتغيرات في فترات زمنية مختلفة و بالذات العلاقات السببية المسؤولة عن تطور و تغيير هده الظواهر و الأحداث عبر الزمن و المنهج التاريخي يستخدم في دراسات علم التاريخ و علم الآثار و الجيولوجيا (علوم الأرض) وذلك لاستخلاص الحقائق المتعلقة بجميع الظواهر و الأحداث التي تدرسها و تتناولها هده العلوم (صفوح، 1983، 18-19).

والمنهج التاريخي هو ذلك الطريق الذي يصف و يسجل ما مضى من وقائع و أحداث الماضي و يدرسها و يفسرها و يحللها على أسس علمية منهجية و دقيقة ،بغرض التوصل إلى حقائق و تعميمات تساعدنا في فهم الحاضر على ضوء الماضي و التنبؤ بالمستقبل (المشهداني، 2018، 121).

2 خطوات المنهج التاريخي :

تنحصر خطوات المنهج التاريخي في النقاط التالية (دالين، 1985، 273-278):

أ-تحديد مشكلة البحث :تشترك جميع مناهج البحث العلمي في هده الخطوة و هده الخطوة مفصلية في منهجية البحث العلمي حيث يأخذ فيها الباحث بعين الاعتبار موضع الدراسة و امتدادها التاريخي بحيث يكون لها صفة الاستمرار ،و الدوام النسبي بحيث يمكن تعقب الظاهرة محل الدراسة و الوقوف على مراحل تطورها ،وفي معظم الدراسات العلمية يستقي الباحثون مشكلة الدراسة من ميدان التخصص و من خلال الإطلاع على الدراسات السابقة.

ب-جمع البيانات و المعلومات (المادة التاريخية):تتطلب هده الخطوة مراجعة المصادر الأولية و الثانوية و اختيار البيانات التي ترتبط بمشكلة البحث و تجدرة الإشارة إلى التمييز بين نوعي المصادر .

حيث تتمثل المصادر الأولية في السجلات و الوثائق و الآثار ،و تتمثل المصادر الثانوية في الصحف و المجلات ،و شهود العيان و المذكرات الشخصية و السير الذاتية ،الدراسات السابقة و المؤلفات الأدبية و العلمية ،الأعمال الفنية ،القصص،القصائد،الأمثال الشعبية ،الرقصات و مختلف أشكال التراث الثقافي اللامادي ،التسجيلات الإذاعية و التلفزيونية ،الاشرطة،الفيديوهات،الدوريات ،الرسومات التوضيحية ،الخرائط (البياتي، 2018، 118).

ج-نقد المعلومات و البيانات(المادة التاريخية):يتم في هده الخطوة فحص البيانات و المعلومات التي تم جمعها و الحصول عليها من خلال نقدها على مستويين ،المستوى الاول و هو النقد الداخلي و المستوى الثاني و هو النقد الخارجي .

***النقد الخارجي :يتوقف النقد الخارجي للمادة التاريخية على مدى صدقها و أصالتها و يركز أكثر على التحقيق في شخصية المؤلف أو الكاتب و زمن الوثيقة و مكان صدورها حيث تطرح جملة من الأسئلة في هدا السياق ،ليحاول الباحث الوقوف على أجوبة منطقية حولها ومن جملة هده الأسئلة :**

***في أي مرحلة تاريخية ظهرت الوثيقة؟ .**

***من هو صاحب الوثيقة وهل هو المؤلف الأصلي للوثيقة ؟**

***هل الوثيقة أصلية أم نسخة عنها ؟و اذا كانت نسخة عنها هل يمكن الوصول إلى النسخة الأصلية؟**

*** هل كتبت الوثيقة بعد الحادث مباشرة أم بعد مرور فترة زمنية ؟**

***هل هناك شك في موضوعية كاتب الوثيقة ؟**

***هل كان الكاتب في صحة جيدة أثناء كتابة الوثيقة ؟**

***هل كانت الظروف التي تمت فيها كتابة الوثيقة تسمح بحرية الكتابة ؟**

*هل هناك تناقض في محتويات الوثيقة ؟
*هل تتفق الوثيقة في معلوماتها مع وثائق أخرى صادقة ؟
*النقد الداخلي :و يتمثل النقد الداخلي في إجابة الباحث عن الأسئلة التالية ؟
*هل تمت كتابة الوثيقة بخط صاحبها أم بخط شخص آخر ؟
*هل تتحدث الوثيقة بلغة العصر الذي كتبت فيه أم تتحدث بلغة و مفاهيم مختلفة ؟
*هل كتبت الوثيقة بمواد مرتبطة بالعصر الذي ظهرت فيه أم بوسائل حديثة؟
*هل هناك تغيير أو شطب أو إضافة في الوثيقة ؟
*هل يوجد تناقض في محتوى الوثيقة أو موضوعاتها ؟
*هل تتفق الوثيقة في معلوماتها مع وثائق أخرى صادقة ؟

د-صياغة الفرضيات في المنهج التاريخي:يعتمد المنهج التاريخي كغيره من مناج البحث العلمي على الفرضية ،حيث تساعد الباحث في تحديد مسار و اتجاه البحث ،كما يتم توجيه الفرضية نحو جمع المعلومات الضرورية و اللازمة للبحث ،و الفرضية كما هو مسلم به في البحث العلمي قابلة للتعديل و القبول و الرفض وذلك إستنادا للنتائج المتوصل إليها في نهاية البحث ،و في البحوث و الدراسات التاريخية تتعدد الفرضيات على اعتبار أن معظم الوقائع و الأحداث التاريخية لا يمكن الإحاطة بها بشكل موضوعي و السبب في ذلك تعقدها و تداخلها و من الصعب ربطها بمتغير واحد أو سبب واحد .

ه-كتابة البحث التاريخي :

تقرر فرضيات البحث التاريخي الاطار العام للدراسة و المتمثل في عرض المادة العلمية وفق نسقا عام قد يكون تاريخيا(زمنيا)،أو جغرافيا (إقليميا)أو موضوعيا ، وتقرير البحث التاريخي لا يختلف في خصائصه عن تقارير الأبحاث و الدراسات الأخرى ،لكن هناك جملة من الاعتبارات تعد أساسية لكتابة البحث التاريخي وهي :

*كتابة الحقائق التاريخية بصورة منظمة و منطقية في التسلسل الزمني من الماضي إلى الحاضر ،أو على أساس موضوعي ،أو على أساس جغرافي أو على أساس العوامل و المتغيرات التي يدرسها الباحث.
*دراسة وبحث البيانات التاريخية و تحليلها مع التركيز على تبيان العلاقات السببية للوقائع و العوامل و المتغيرات المدروسة و النتيجة المحتملة بينها.
و يتضمن تقرير البحث الذي يعتمد على المنهج التاريخي النقاط التالية:
1-مقدمة البحث توضح خلفية مشكلة الدراسة و مصادرها .
2-الدراسات السابقة.
3-تساؤلات و فرضيات و أهداف الدراسة .
4-استعراض المنهج المستخدم في الدراسة و أدوات جمع البيانات.
5-عرض النتائج و مناقشتها و تفسيرها في ضوء الفرضيات و في ضوء نتائج الدراسات السابقة و في ضوء التراث النظري حول موضوع الدراسة .
6-اقتراح النتائج و التوصيات مع ادراج المصادر و المراجع المعتمدة في البحث و الملاحق مع توخي الدقة و الأمانة و الموضوعية في توثيق المراجع و كتابة البحث بصورة عامة (زياد، 1989، 65-66).

3 أدوات جمع البيانات في المنهج التاريخي :

من أهم الأدوات المنهجية التي تعتمد في المنهج التاريخي :
*الملاحظة التحليلية الناقدة للمصادر التاريخية
*تحليل المادة التاريخية باستخدام الأجهزة و التقنيات الحديثة للتأكد من صحة و زيف الوثائق التاريخية .
*المقابلات الشخصية لشهود العيان و القنوات الناقلة للحوادث و الأحبار .
*استطلاعات الرأي العام و الاستبيانات .

2-المنهج الوصفي :

1 تعريف المنهج الوصفي :يعرف المنهج الوصفي بأنه طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته و ذلك بإتباع منهجية علمية صحيحة و التعبير عن النتائج المتوصل إليها بصيغة رقمية (إحصائية)يمكن تفسيرها .

ويعرف كذلك بأنه محاولة للوصول إلى المعرفة الدقيقة و التفصيلية لعناصر مشكلة أو ظاهرة ما و التوصل إلى فهم أدق و أعمق بغرض رسم السياسات و اتخاذ الإجراءات المستقبلية الخاصة بها (المحمودي، 2019، 56).

2- خصائص المنهج الوصفي :من مميزات و خصائص المنهج الوصفي :

-اعتماده على الوصف العلمي من خلال التحليل و الموضوعية .

-ارتباطه بالواقع من خلال استخدامه في الدراسات و البحوث ذات الصلة المباشرة بواقع الحياة الانسانية .

-اعتماده على الأسلوب الكمي و الكيفي و الجمع بينهما أحيانا .

-يستخدم في معظم البحوث و الدراسات الانسانية و الاجتماعية .

-يساعد على التنبؤ بمستقبل الظاهرة و ذلك عبر متابعة التغيرات التي تطرأ عليها عبر الزمن .

-يهدف إلى الحصول على أكبر كم من المعلومات عن الظاهرة محل الدراسة .

-يعتمد على الكثير من الأدوات المنهجية في بحث و دراسة المواضيع البحثية و الظواهر .

-لا يقتصر المنهج الوصفي على جمع البيانات و تصنيفها و تبويبها بل يتعدى ذلك إلى تحليلها و تفسيرها و التوصل إلى تعميمات متعلقة بالظاهرة موضوع الدراسة .

3 أدوات المنهج الوصفي:

يعتمد المنهج الوصفي على مجموع من الأدوات البحثية وهي :

-الملاحظة

-المقابلة

-الاختبارات و المقاييس .

-الإستبيانات

4 خطوات المنهج الوصفي :

يمكن حصر خطوات المنهج الوصفي النقاط التالية :

1-تحديد المشكلة و صياغتها بدقة : من أهم الشروط في تحديد المشكلة البحثية الوضوح و الدقة في الصياغة و إمكانية الدراسة الميدانية .

2-صياغة الفروض:الفرض من الناحية النظرية الفرضيات هي إجابات مؤقتة لأسئلة الإشكالية و عمليا هي موجهات المراحل البحثية اللاحقة .

3-جمع المعلومات و البيانات من مختلف المصادر :يتم في هده المرحلة جمع البيانات و المعلومات بالاستعانة بأدوات البحث المختلفة كالمقابلة و الاستبيان و الملاحظة بالإضافة إلى البحث الوثائقي ،كما يختار الباحث الأداة المناسبة لطبيعة المشكلة و الفروض المصاغة .

3-5 تحليل البيانات و تفسيرها :في هده الخطوة يقوم الباحث باختبار الفرضيات و مناقشتها في ضوء نتائج الدراسات السابقة و التراث النظري حول الدراسة للوقوف على مدى اتفاق نتائج البحث مع نتائج البحوث السابقة و العمل على تفسير أسباب الاتفاق و الاختلاف .

5-صياغة النتائج :تتم في هده المرحلة صياغة النتائج المتوصل إليها و اقتراح الحلول للمشكلة المطروحة في البحث و تقديم التوصيات و المقترحات .

3-المنهج المقارن:

1 تعريف المنهج المقارن :هو ذلك المنج الذي يعتمد أسلوب المقارنة لمعرفة أسباب حدوث الظواهر و العوامل التي صاحبت حدوثها .

كما يعرف كذلك بأنه منهج علمي يهدف إلى توضيح وتصنيف العوامل السببية في ظهور ظواهر معينة و تطورها ،و كذلك أنماط العلاقة المتبادلة في داخل هده الظواهر بينها وبين بعضها البعض ،و ذلك بواسطة توضيح التشابهات و الاختلافات التي تبينها الظواهر التي تعد من نواح مختلفة قابلة للمقارنة (علبي، 2006، 132).

بمعنى آخر المنهج المقارن هو طريقة للمقارنة بين مجتمعات مختلفة أو جماعات داخل المجتمع الواحد أو نظم إجتماعية للكشف عن أوجه الشبه و الإختلاف بين الظواهر الاجتماعية و ابراز أسبابها وفقا لبعض الجوانب التي تجعل هده الظواهر قابلة للمقارن مثل الجوانب التاريخية ،الاقتصادية ،الديموغرافية .....إلخ.

2 خطوات المنهج المقارن:

1-تحديد موضوع المقارنة :في هده الخطوة يقوم الباحث بضبط موضوع المقارنة أو الظاهرة محل الدراسة و المقارنة .

2-تحديد و حصر متغيرات المقارنة :و يتم خلال هده الخطوة تحديد مجموعة من المتغيرات التي تتضمن نقاط التشابه و الاختلاف في موضوع المقارنة و هنا يتم وضع افتراضات أو صياغة علاقات افتراضية فيما بين المتغيرات محل المقارنة و هدا لدراستها بدقة ووضوح.

3-تفسير بيانات مجال المقارنة :في هده المرحلة يقوم الباحث بالتفصيل في جوانب المقارنة وذلك للوقوف على أسباب و مبررات التشابه و الاختلاف في المتغيرات محل المقارنة .

4-صياغة نتائج المقارنة :يستعرض الباحث جوانب الاختلاف و التشابه في عملية المقارنة و التعرض للأسباب الحقيقية لذلك من خلال ربطها بمتغيرات و عوامل أخرى ثم يخلص إلى استنتاجات منطقية تبرر عملية المقارنة .

3 كيفية تطبيق المنهج المقارن :

-طريقة البواقي :في هده الطريقة يستثني الباحث بعض العوامل و يقوم بالمقارنة على العوامل المحددة و اذا تبين له الاختلاف يرجع سبب ذلك إلى العوامل الباقية أو المسبعدة

-المقارنة الكيفية :و تتم من خلال :

أ-جمع المعلومات حول المواضيع و التعرف على خصائصها و من ثم المقارنة بينها و يتطلب ذلك التعرف على الظاهرة واقعيا و مراقبة تطورها و العوامل المؤثرة في ذلك التطور و التغير .

ب-يقتصر الباحث في هده الحالة على ما كتب حول الموضوع محل الدراسة محل الدراسة المقارنة مثل الكتب ،المقالات و الأبحاث المنشورة و غير المنشورة و مناقشتها اعتمادا على ما يمتلكه من معلومات و معارف سابقة .

-المقارنة الكمية :و يقوم فيها الباحث بحصر البيانات الكمية حول الظاهرة محل الدراسة المقارنة و هنا تبرز أهمية الأساليب الاحصائية حيث يشكل التعداد السكاني و الاحصاءات أهم مصدر للبيانات الكمية في الدراسات المقارنة .

4-منهج دراسة الحالة :

1 تعريف منهج دراسة الحالة : هو ذلك المنهج الذي يتجه إلى جمع البيانات العلمية ذات العلاقة بوحدة ،سواء كانت فردا أو مؤسسة ،او نظاما اجتماعيا ،وذلك بقصد الوصول إلى تعميمات متعلقة بالوحدة المدروسة و بغيرها من الوحدات المتشابهة (المحمودي، 2019، 56)

2 خصائص منهج دراسة الحالة :من أهم مميزات منهج دراسة الحالة :

-التعمق و التدقيق في الحالة المدروسة و التركيز عليها بعد عزلها و لو نسبيا أو مؤقتا عن الحالات الأخرى .

-دراسة الحالة دراسة تتبعيه بمعنى تتبع الظاهرة أو الحالة محل الدراسة منذ نشأتها مرورا بمراحل تطورها حتى زمن دراستها.

-دراسة الحالة تشبه طريقة الفلاش باك (العرض الاسترجاعي)في الاعمال الفنية و السينمائية حيث يبدأ العمل الفني بلقطة حاسمة ومؤثرة ثم بعد ذلك يكون بقية العمل الفني عبارة عن عرض استرجاعي للمراحل و الخطوات التي مر بها بطل العمل الفني أو الأحداث حتى وصل إلى الحالة التي هو عليها و المرحلة التي هو فيها (ابراش ا.، 2008، 199).

-نفس الكلام ينطبق على دراسة الحالة إذا ما افترضنا أن موضوع دراسة الحالة شخصية تاريخية مهمة أو حزب سياسي أو تنظيم نقابي أو حركة اجتماعية ثورية أو شخصية فنية أو اعلامية في هده الحالة نقوم ببحث استرجاعي لسيرة و علاقات الحالة محل الدراسة و المراحل االتي مرت بها من الأمثلة على ذلك :دراسة الشخصيات السياسية و التاريخية ،دراسة التنظيمات على مختلف أشكالها .....إلخ

3 الأدوات المنهجية المستخدمة في منهج دراسة الحالة :

يتم جمع المعلومات و البيانات في منهج دراسة الحالة بالاستعانة بالأدوات المنهجية التالية :

-الملاحظة .

-المقابلة .

-الوثائق و المستلزمات والمقتنيات الشخصية .

-التقارير و التحقيقات و التسجيلات السمعية و البصرية .

-الشهادات الحية و الموثقة .

4 خطوات منهج دراسة الحالة :

1-تحديد الظاهرة أو الحالة المطلوب دراستها (شخصية تاريخية، شخصية عامة ،حزب سياسي ،تنظيم معين ،قبيلة ،جماعة معينة ، مؤسسة .....إلخ).

2-تحديد و ضبط المفاهيم و الفروض العلمية التي سيستعملها الباحث في دراسة الحالة .

3-التأكد من توفر البيانات و المعلومات المتعلقة بالحالة محل الدراسة و البحث.

-إذا كان الباحث بصدد دراسة فئة أو طبقة اجتماعية يجب عليه اختيار العينة التي تشمل المجتمع المبحوث .

5-تحديد وسائل جمع البيانات كالملاحظة و المقابلة و الوثائق الشخصية .

6-تدريب المساعدين على جمع البيانات في حالة استعانة الباحث بالمخبرين في جمع البيانات .

7-استخلاص النتائج ووضع التعميمات .

ما يمكن ملاحظته بخصوص التسميات المعطاة لهدا المنهج متعددة حيث نجه تحت مسمى المنهج المونوغرافي من المونوغرافيا و التي تعنى وصف موضوع مفرد و هنا يجب التمييز بين دراسة الحالة كمنج يتناول قطاع اجتماعي كالأسرة ،الحزب السياسي ،منظمة ،قبيلة ،أسرة حاكمة فئة مهنية و بين دراسة الحالة لشخص مفرد (زعيم سياسي ،معارض سياسي ،فنان ،كاتب ،عالم ،اعلامي ،مناضل حقوقي .....إلخ).

نشير إلى أن منهج دراسة الحالة هو واحد من المناهج المهمة في البحوث و الدراسات التاريخية و الإعلامية و علم المكتبات .

5-المنهج التجريبي :

1 تعريف المنهج التجريبي:هو ذلك المنهج الذي يتمكن الباحث بواسطته من معرفة أثر السبب(المتغير المستقل)على النتيجة (المتغير التابع) و ذلك باستخدام التجربة (العساف، 1995، 303) .

2 خصائص و مميزات المنهج التجريبي :المنهج التجريبي واحدا من أكثر المناهج العلمية كفاءة و دقة ،و هدا راجع لمجموعة من الخصائص و المميزات يتمتع بها هدا المنهج وهي :

-يسمح بتكرار التجارب في نفس الظروف و الشروط سواء من قبل الباحث أو غيره من الباحثين بهدف التأكد من صحة النتائج.

-يتميز بخاصية الدقة في النتائج المتوصل إليها .

-يساعد على إكتشاف العلاقات السببية بين المتغيرات بدقة عالية و بسرعة أكبر.

3 أسس تطبيق المنهج التجريبي : يتأسس المنهج التجريبي على الملاحظة الدقيقة و المضبوطة و ذلك من خلال خطة منهجية تحدد فيها المتغيرات المستقلة و التابعة و لكي يتمكن الباحث من تجسيد ذلك لابد من مراعاة جملة من الأسس عند تطبيق المنهج التجريبي و هي (عودة و ملكاوي، 1999، 120-121) :

-تحديد و تعريف دقيق لجميع العوامل التي تؤثر في المتغير التابع .

-ضبط محكم و دقيق لكل العوامل المؤثرة في المتغير التابع و الغرض من ذلك التأكد من أن المتغير المستقل هو سبب النتيجة التي تم التوصل إليها .

-تكرار التجربة قدر الإمكان للتأكد من دقة النتائج المتوصل إليها .

4 خطوات المنهج التجريبي :الخطوات المتبعة في المنهج التجريب لا تختلف كثير عن الخطوات المتبعة في المناهج الأخرى باستثناء مرحلة التجربة أو اجراء التجارب وهده الخطوات هي (بوداود، 2010، 137):

1-اختيار و تحديد مشكلة البحث.

2-مراجعة الدراسات السابقة للتأكد من عدم دراسة المشكلة سابقا و التعرف على نتائج الدراسات ذات العلاقة بالدراسة الحالية .

3-وضع الأسئلة و صياغة الفرضيات .

4-تحديد المفاهيم و التعريف المصطلحات .

5-اختيار أفراد العينة ووسائل الاختبار و القياس .

6-اختيار التصميم التجريبي.

7-تنفيد الاجراءات و اجراء التجارب المطلوبة .

8-تحليل و تفسير البيانات و عرض النتائج و مناقشة الفرضيات بالرفض أو القبول .

9-عرض النتائج النهائية في صيغة تقرير لأغراض النشر العلمي .

***أدوات المنهج التجريبي :يعتمد المنهج التجريبي على مجموعة من الأدوات البحثية أهمها**

-الملاحظة :و هي المشاهدة الحسية الدقيقة للظواهر و الوقائع تعتمد على الحواس وما يساعدها من أجهزة و أدوات مخبرية ولا تقتصر الملاحظة على مجرد المشاهدة بل تتعدى ذلك إلى تصنيف الملاحظات بناءا على الاختلافات و التباينات و التشابهات.

-التجربة :هي مجموع الاجراءات المنظمة و المقصودة التي سيدخل من خلالها الباحث في إعادة تشكيل الواقع و من ثم التوصل إلى نتائج من شأنها تأكيد الفرضيات أو نفيها و تصميم التجارب يقتضي كفاءة علمية و بحثية تساعد على حصر كل العوامل و المتغيرات ذات الصلة بالظاهرة المدروسة .

بالإضافة إلى تحديد المتغير المستقل و الوقوف على دوره في الظاهرة وكذلك ضبط المتغير التابع كما تقتضي التجربة تحديد مكان و زمان إجرائها و الوسائل و التجهيزات الضرورية لتنفيذها و اعداد وسائل قياس النتائج و اختبار صدقها .

و لتنفيذ التجربة لابد من تحديد نوعين من المتغيرات بشكل دقيق وواضح وهما (عبيدات و آخرون، 1984، 282-283) :

1-المتغير المستقل : و هو المتغير الذي يسعى الباحث إلى قياس مدى تأثيره في الظاهرة المدروسة و يعرف عادة على أن العامل أو المتغير التجريبي .

2-المتغير التابع: و هو نتاج تأثير المتغير المستقل في الظاهرة

و في سياق البحث التجريبي يقوم الباحث بصياغة فرضية في محاولة لإيجاد علاقة بين المتغير المستقل و المتغير التابع و للتمكن من اختبار وجود هده العلاقة من عدمها ،لابد من استبعاد وضبط تأثير العوامل الأخرى على الظاهرة محل الدراسة لكي يتاح المجال للمتغير المستقل للتأثير على المتغير التابع.

***أنواع التجارب:عند الاستعانة بالتجربة في البحث العلمي هناك نوعان من التجارب هما :**

1-التجربة المخبرية (المعملية):و فيها يتم وضع مفردات العينة محل البحث في بيئة تجريبية أو اصطناعية تتناسب و أهداف البحث و هدا من شأنه مساعدة الباحثين على التحكم أكثر في متغيرات الدراسة .

2-التجربة الميدانية : و فيها يتم إجراء التجارب و اختبار الفروض في بيئة طبيعية عادية ومن أمثلة البيئات التجريبية الميدانية :المدارس ،الجامعات ،المساحات التجارية الكبرى ،التجمعات السكنية و يتميز هدا النوع من التجارب بكون الأفراد فيه أو المبحوثين يتصرفون بشكل تلقائي طبيعي و بدون تصنع حيث انه لا يوجد لديهم شك في أنهم في موضع دراسة أو محل مراقبة (ملاحظة) وذلك لضمان ثبات تصرفاتهم و سلوكياتهم الطبيعية.

6- منهج تحليل المحتوى

ارتبط تحليل المضمون كأداة علمية وكأسلوب منهجي في التحليل منذ ظهوره في أواسط العقد الثاني من القرن الماضي، حيث استخدم للتعرف على أساليب الدعاية، وتعد دراسة كل من (ليبمان) "Lipman" و(شارلز ميرز) "Charles mirsse" أول دراسة علمية متكاملة استعملت هذا الأسلوب في تحليل المواد الصحفية المنشورة في الجرائد والمجلات والمواد الإذاعية والتلفزيونية والأفلام والمحادثات والصور (تمار، 2007، 12).

ولم ينحصر تحليل المحتوى (المضمون) في تحليل المواد الإعلامية بل شهد انتقالا إلى مجالات أخرى كالعلوم الاجتماعية وبقية العلوم الإنسانية.

1- مفهوم منهج تحليل المضمون:

يعرفه "كريندورف" Kriendorf " ، بأنه أسلوب في البحث يهدف إلى الخروج باستدلالات صحيحة و شرعية من البيانات الخاصة بالمضمون ،كما يعرفه "بيلرسون Berlson" بأنه أحد الأساليب المنهجية التي تهدف إلى الوصف الموضوعي والمنظم والكمي لمضمون الظاهرة لمادة من مواد الاتصال (طعمة، 2004، 70).

2 استخدامات تحليل المضمون:

يستخدم تحليل المضمون في جوانب محددة لدراسة المادة الإعلامية ويمكن تحديدها في الآتي:

- **وصف مضمون الاتصال.**
- **اختيار فرضيات خصائص الرسائل.**
- **مقارنة مضمون وسائل الإعلام بالعالم الحقيقي.**
- **تقييم صورة جماعات معينة في المجتمع.**
- **إقامة نقطة بدء لدراسة تأثيرات وسائل الإعلام.**

3 خطوات تحليل مضمون:

هناك خطوات إجرائية لتطبيق تحليل المضمون نوجزها في النقاط التالية (ابراش ا.، 2008، 199):

- **صياغة مشكلة البحث وفرضياته.**
- **تحديد المجتمع موضوع الاختيار.**
- **اختيار عينة مناسبة من المجتمع.**
- **اختيار وحدة التحليل وتعريفها.**
- **إعداد فئات(التصنيفات/الشرائح) المضمون الذي سيتم تحليله.**
- **تأسيس نظام حساب كمي.**
- **تدريب المرمزين وإجراء دراسة استكشافية.**
- **ترميز المضمون.**
- **استخلاص الاستنتاجات والبحث عن مؤشرات عليها.**

4 خصائص تحليل المضمون:

لتحليل المضمون كمنهج في العلوم الإنسانية جملة من الخصائص المميزة نوضحها في الآتي (تمار، 2007، 12):

- **أنه يخص المواد اللغوية وغير اللغوية أي الصورة التعبيرية المرئية أو المسموعة.**
- **أنه يهتم بمحتوى الظاهرة، بمعنى ما قيل صراحة في أي وثيقة، فتحليل محتوى برنامج حزب سياسي على سبيل المثال، هو العمل على استخراج أهم المواضيع أو الاتجاهات أو القيم أو الأهداف المعبر عنها صراحة في الوثيقة محل التحليل.**
- **أنه يمكن أن يتناول الرموز الساكنة مثل النصوص المكتوبة أو النصوص المتحركة مثل الأفلام والموسيقى.**
- **أن الباحث يستعين بتحليل المحتوى إلى جانب تقنيات أو مناهج أخرى، فهو عبارة عن تقنية بحث إضافية تؤكد ما قد لا يستطيع مناهج وتقنيات أخرى الوصول إليه.**
- **أنه يختص بتحليل الوسائط مهما كان شكلها التي تحمل رسائل يمكن ملاحظة محتواها ومنه تحليلها.**

5 فئات التحليل:

1-5 فئات الشكل: الفئات التي تصف المحتوى الشكلي للمضمون المزمع دراسته وتحاول الإجابة عن السؤال (كيف قيل؟) وعند تحليل شكل المادة فإن لنا الاختيار بين الفئات التالية:

- **المساحة: أي الحجم المتاح ضمن الجريدة، المجلة، النشرة...إلخ**
- **الزمن: زمن العرض ووقته.**
- **الموقع: موقع المادة في الجريدة ، المجلة، الموقع.**
- **شكل العبارة: صورتها وبنيتها.**
- **طبيعة المادة المستعملة: الخبر، المقال، التحقيق، الحوادث،...إلخ**
- **اللغة المستعملة: الفصحى، الفصحى البسيطة، العامية، المزدوجة.**
- **العناصر التيبوغرافية: الكيفية التي يتم بها إخراج المادة الإعلامية : العناوين، الإخراج الفني، الموسيقى، الأصوات، اللقطات، الألوان.**
- **الصور والرسومات.**

2-5 فئة المضمون:

- **فئة الموضوع: وتعنى بما يدور المحتوى؟ وما هي المواضيع الأكثر بروزا في المحتوى؟ وتشمل مواضيع اجتماعية، فردية، هواياتية**
- **فئة الاتجاه: الاتجاه الذي يأخذه المضمون محل التحليل، (مؤيد، معارض، محايد)، الكتب والمقالات التي كتبت حول الإعلام الغربي مثلا، اتجاه مضمون الصحافة الإلكترونية حول قانون الإعدام في الجزائر، التمويل غير التقليدي للاقتصاد مثلا.**
- **فئة الفاعل: أي الفاعلين الأساسيين في المضمون ، أهم الفاعلين في القضايا الوطنية مثلا.**

- **فئة القيم: القيم في مضامين البرامج الإذاعية، القيم الدينية، القيم الاجتماعية، القيم السياسية.**
- **فئة الأهداف: البحث في مختلف الأهداف التي يريد المضمون محل الدراسة إبلاغها أو الوصول إليها، وتختلف من بحث لآخر،مثل انشغالات الجزء الأخير من حصة من الملاعب، صباح الخير يا جزائر**
- **فئة المواقف: يسعى الباحث في هذه الفئة لمعرفة ردود أفعال الأفراد حيال قضية معينة.**
- **فئة السمات أو الخصائص: هي تلك الفئة التي تبحث خصائص الأفراد والشخصيات المتضمنة في المضمون محل الدراسة، أهم السمات الفردية في التحليل كالجنس، السن، مستوى الذكاء، القدرة على الفهم، الوضع الاجتماعي، وكذا السمات الجماعية كالتقارب بين الأفراد، التنافر بينهم، الجماعة الأولية، السياسات، قصيرة المدى، متوسطة، طويلة المدى.**
- **فئة المصادر: الأشخاص، الصحف، المحطات الإذاعية، التلفزيون، الكتب، الأفلام والأشرطة الوثائقية.**
- **فئة الجمهور: تساعد هذه الفئة الباحث في معرفة الجمهور الذي يريد القائم بالاتصال الوصول إليه، طبيعته، سماته، هل هو جمهور خاص أم جمهور عام؟ هل هي فئة معينة أم مجموعة من الفئات مثل: تحليل محتوى القصص المخصصة للأطفال من الأطفال مستواهم التعليمي، جنسهم؟ من خلال تحليل الأفكار والكلمات والصور التي تحملها تلك القصص.**

6 وحدات التحليل

هي مقطع محدد من رسالة أو مجموعة من الرسائل محتلة لنفس خصائص وطبيعة الفئة وهي:

- **وحدة الكلمة: تصنف الكلمات إلى أفعال، أوصاف، نعوت**
- **العبارة: أكبر من الكلمة من الناحية السمنطيقية (الدلالية)، تكون متكاملة لإعطاء معنى ودلالة (العالم الثالث، جنوب شرق آسيا، المغرب العربي، شمال إفريقيا، دول الساحل، الأسرة المحرومة، ذوي الاحتياجات الخاصة...إلخ.**
- **وحدة الجملة: الجملة من الناحية الدلالية تحدد برموز تشير إلى بدايتها ونهايتها كالفاصلة، النقطة،...إلخ وتستخدم في تحليل المحتوى بالإشارة إلى مجموع الجمل ببناءات مختلفة كأن نقول 120 جملة متضمنة لـ...و 150 جملة متضمنة لـ....**
- **وحدة الفكرة: الفكرة متضمنة لعبارة أو جملة.**
- **وحدة الفقرة: الفقرة تعرف بأول حرف في البناء إلى آخر كلمة تتبعها نقطة أو بياض.**
- **وحدة الموضوع: تكون فئة ووحدة في الوقت ذاته، يستعمل كوحدة عن طريق حساب المواضيع التي قد يحملها المحتوى مثل (السياسة، الاقتصاد،...)**
- **وحدة اللقطة:تستخدم هذه الوحدة في المضامين البصرية مثل الأفلام السنيمائية، التلفزيونية والمسرحيات، (مثل قضية العنصرية وذلك بحساب عدد اللقطات التي تشير إلى الممارسات العنصرية)**
- **وحدة المقطع: تستخدم في تحليل عدة مضامين مهما كان شكلها، فالمقطع قد يكون فيلم،مسرحية، محتوى مكتوب في الجرائد، الكتب، الخطابات...إلخ، يتم تقسيم المقطع أو المحتوى إلى مقاطع يمكن حسابها وتصنيفها وتحليلها تحليلا كميا.**

- **وحدة الزمن: المدة الزمنية التي توحي بأهمية الموضوع المعروض، حيث تقاس أهمية الموضوع بمدة عرضه، وتستعمل هذه الوحدة لدراسة شكل المادة المعروضة، والباحث هنا يقيس المدة الزمنية التي استغرقها المحتوى في طريقة عرضه (ثواني، دقائق، ساعات).**
- **السنتيمتر مربع (سم^2): يستعمل في فئة المساحة ، حيث يقوم الباحث بقياس المساحة المخصصة للموضوع المعالج وتعكس هذه الوحدة أهمية الموضوع نسبة إلى مساحته.**

كملاحظة بخصوص منهج تحليل المضمون يمكن احد المناهج المسيطرة على البحوث و الدراسات الاعلامية و الاتصالية في المرحلة الراهنة.

7-منهج تحليل الخطاب:

تمهيد:يعدُّ الإعلام في عصرنا الحديث المصدر الأساسي لفهم الأحداث حول العالم، وهو يؤدي دورًا حيويًّا في تكوين الحقائق في أذهان الناس. وتؤدي وسائل الإعلام دورًا في عملية البناء السياسي وفي تفجير الطاقات الخلاّقة داخل الإنسان وشحذها للبناء، وذلك في إطار تغيير القديم، وإحلال الجديد محل القديم من قيم وعادات وسلوك، إلى جانب وظائفها التّقليديّة (الإخبار والتثقيف والتّرفيه والترويج والإعلان)، ويؤكّد الباحثون أنّ عملية الاتصال الإعلامي ترسّخ عند المواطن شعورًا بالانتماء إلى الوطن وأمّته وقوميّته. ومن وظائف الإعلام التأثير على اتجاهات الرأي العام، والاتجاهات السياسيّة والاجتماعيّة، وهي عمليات ضرورية للمجتمع المتنوع ثقافيًّا وعرقيًّا، والذي يعاني من إشكاليات سياسيّة واجتماعيّة معقّدة. إنّ هذه الأدوار المتعددة للإعلام ومكانته الراسخة داخل المجتمعات الانسانية الحديثة، تجعل من الأهمية بمكان الإضاءة على الخطاب الإعلامي، وكيفية فهمه وتحليله وتمحيصه للوصول الى بواطن الخطاب، فتحليل الخطاب هو انتقال من المحتوى الظاهر الى المحتوى الباطن، فهو من جهة يعدُّ ممارسة لغوية ومن جهة أخرى ممارسة اجتماعيّة ولا يمكن فهمه أو تأويله إلّا استنادًا الى هذين الجانبين. انطلاقًا من الدور الأساسي الذي يؤديه الخطاب الإعلامي في التأثير على المتلقّي سوف تنظر هذه الورقة البحثيّة الى التعريفات المختلفة للخطاب وأهميته من ناحية ربطه بالسّياق، كما أبرز الأدوات والمدارس المستخدمة في تحليله.

اولاً: مفهوم الخطاب

يأخذ الخطاب أشكالًا متعددة فهو قد يكون رسالة محكّية أو مكتوبة وقد يقتصر على كلمة واحدة لكنها تعبّر عن موقف ما كالشتيمة على سبيل المثال والتي تعبّر عن امتعاض أو غضب المرسل. يقول الباحث محمد شومان: إن الخطاب متحرك ومتغير وله جمهور وهدف وقصد معين وهو يتشكل من مجموعة من النصوص والممارسات الاجتماعيّة، وهو يتضمن أنواعًا عديدة من النشاط العلاماتي مثل الصور المرئية، والأفلام والرسوم البيانيّة كما الاتصال غير الشفهي مثل حركات الرأس واليدين (شومان، 2004). في الحقيقة قد يكون الخطاب حركة من دون كلام كرفع شارة النصر للتعبير عن الفخر، أو قذف السياسيين بالبيض كما يحصل أمام البرلمانات للتعبير عن غضب الشعب من سياسات الحكام، أو قذف جورج بوش الابن بالحذاء كما فعل أحد الصحافيين العراقيين (منتصر الزيدي) للتعبير عن احتقاره لبوش ولسياساته في العراق (طنوس، 2014.(

-1المعنى اللغوي للخطاب

الخِطاب (بكسر الخاء) والمخاطبة هي مراجعة الكلام، والخطاب اسم الكلام الذي يتكلّم به الخطيب (لسان العرب). في معجم الوسيط الخطاب يعني الكلام وفصل الخطاب ما ينفصل به الأمر من الخطاب، أو الحكم في البيّنة، والفقه في القضاء وهذا التعريف المرتبط بالآية القرانيّة ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ يشير الى الأبعاد السياسيّة والاجتماعيّة للخطاب (المعاني). ويرجع مفهوم الخطاب في اللغة الإنجليزية إلى المصطلح Discourse المأخوذ عن اللاتينية Discourse sas ومعناه الركض هنا وهناك، والذي قد يبدو أنّه غير ذي صلة بالمعنى الاصطلاحي للخطاب إلّا أنّه أصبح يحمل معنى الخطاب بما يعنيه من إرسالٍ، واستقبال أو ما اشتقّ من معانٍ منذ القرن السابع عشر، فقد دلّ المصطلح على المحادثة والتواصل والنقاش العميق كما دلَّ على تشكيل صيغةٍ معنوية سواء أكانت شفهية أم مكتوبة عن فكرةٍ ما (عبيد، 2016). معجم الدّراسات الأدبيّة يعرّف الخطاب أنّه "مجموع التّعابير الخاصة والتي تحدد بوظائفها الاجتماعيّة ومشروعها

الأيديولوجي" (المشاقبة، 2014، صفحة 100). وفي كتابه الخطاب الشّرعي يعرّف ادريس حمادة الخطاب أنّه "مصدر لفعل خاطب يخاطب خطابًا مخاطبة، وهو يدلّ على توجيه الكلام لمن يفهم نقل من الدلالة على الحدث المجرد من الزّمن الى الدّلالة على الاسميّة" (حمادي، 1994، صفحة 21.(

وكلمة الخطاب مستمدة من فعل "خَطَب" ونقول "خطَبَ خطبة"، والخطبة تدل على الكلام الذي يتكلم به الخطيب، وقد ذهب أبو بكر بن اسحاق الى أنّ الخطبة عند العرب تعني "الكلام المنثور المشجع ونحوه" (المشاقبة، 2014، صفحة 99.(

قاموس Cambridge عرّف الخطاب: أنه التواصل من خلال المحادثة أو الكتابة حول موضوع معيّن، في حين عرّف قاموس لاروس الفرنسي الخطاب: أنّه تطوير خطابي لموضوع محدد أمام جمهور خلال مناسبة عامة أو تعبير مكتوب أو محكي حول حالة معينة.(Cambridge)

ومن ضمن التّعريفات القديمة للخطاب ما عرّف ارسطو الخطابة في كتابه "الخطابة Rhetorique "أنّه "قوة تتكلف الأقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة" (بدوي، 2017، صفحة 9.(

لقد ورد الخطاب في القران الكريم كمصدر في قوله تعالى ﴿أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ (الآية 23 من سورة ص). وأيضًا في الآية عشرين من السورة نفسها، وردت كلمة الخطاب: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ وقوله تعالى في سورة نبأ الآية 37 ﴿رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾. ووردت بصيغة الفعل في مواضع عديدة في القران الكريم منها في سورة هود الآية 37 ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾، وفي ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ الآية 63 من سورة الفرقان. يعرّف محمد شومان الخطاب في كتابه تحليل الخطاب الإعلامي بوصفه طريقة معينة للتحدث عن الواقع وفهمه، وهو مجموعة النّصوص والممارسات الخاصة بإنتاج النصوص وانتشارها ما يؤدي الى انشاء وفهم الواقع الاجتماعي (شومان، 2007). ويضيف شومان إن الخطاب هو "كل الأشياء التي تكوّن العالم الاجتماعي بما في ذلك هويتنا، وبعبارة أخرى فإن الخطاب هو واقعنا الاجتماعي وإدراكنا لهويتنا أنّه من دون خطاب لا يوجد واقع اجتماعي، ومن دون فهم الخطاب لا يمكن أن نفهم واقعنا وتجاربنا" (شومان، 2007، صفحة 25.(

ويرى مختار الفجيري في كتابه "مفهوم الخطاب" أنّ الخطاب "ليس الكلام صراحة، بل هو الكلام ضمنا، أيّ الكلام بمعنى جديد. فالكلام في لسانيات الخطاب لم يعد ذلك الذي نعبر عنه عما نريد، بل جُعِل لنخفي به ما نريد" (الفجيري، 2014، صفحة 535) ويضيف الفجيري أنّ الخطاب هو الكلام المقموع الذي يعتمد شتى الأساليب التمويهيّة والحِيل الخطابيّة. في الحقيقة لا يمكن أن نجد تعريفًا موحدًا للخطاب، فقد قدّم الباحثون تعريفات عديدة وتوسعًا عاموديًّا وافقيًّا في مفهوم الخطاب، ولكن هذا لا يمنع أن يكون مادة للدراسة حينًا ومنهجًا معتمدًا في أحيان أخرى، ولا يمنع من انتشاره واستخدامه على نطاق واسع في شتى ميادين وتخصصات العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة وخصوصًا في عالم الإعلام والسياسة حيث يأخذ الخطاب أشكالًا متعددة. إن عدم الاتفاق على مفهوم الخطاب واستخداماته، لم تمنع من انتشار بحوث تحليل الخطاب ومن بينها تحليل الخطاب الإعلامي والذي يعدُّ اليوم من أدوات التحليل الكيفي المهمّة للرسائل الإعلاميّة.

-2المعنى الاصطلاحي للخطاب

يتباين معنى مفهوم الخطاب على المستوى الاصطلاحي ما بين علم (اللغة) اللسانيات، وخارج علم اللسانيات (مدرسة تحليل الخطاب السياسي.(

- في علم اللسانيات

إنّ مفهوم الخطاب في علم اللسانيات ينقسم في إطار اتّجاهَين البُنيوية Structuralism والتفكيكيّة Deconstruction. يهتمّ الاتجاه البنيوي بالنسيج اللغوي للنص، ويدرسه بذاته لذاته مهملًا صاحبه ومؤلّفه. تنطلق هذه المدرسة من أنّ النصّ وحده هو المهمّ، ولا يفيد في شيءٍ أن نتعرّف على حياة مؤلّفه لكي نفهمه. ويُعدّ دي سوسير رائد البنيوية الأول في العصر الحديث وهو يعدُّ الخطاب مرادفًا للكلام. وعدَّ آخرون أمثال Zellig Harris أنّ الخطاب "مفهومٌ طويلٌ أو متتالية من الجمل"، وعند Todrouf هو "أيّ منطوقٍ أو

فعلٍ كلاميّ يفترض وجود راوٍ ومستمع في نيّة الراوي التأثير على المستمع بطريقةٍ ما" (عبيد، 2016). اتّسمت اتجاهات ما بعد البنيوية بالتفكيكيّة، وقد ظهرت التفكيكيّة على يد الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا ورولاند بارت، وقد قاما بنقد الفكر البنيوي وذلك بإعلان وفاة المؤلّف أي تحرير النّص من سلطة المؤلّف. والمقصد هنا أنّ القارئ له دور في فهم النّص، وعمليّة تفكيك النّص أو الخطاب هي أحد العناصر الأساسيّة في هذا الاتجاه. وهي تهتمّ بتفكيك بنى النص سواء أكانت لغويّة أو اجتماعيّة أو ثقافيّة أو فلسفيّة أو مؤسسيّة، وكلّ ذلك بالطبع يتمّ في تجاهل مقصد المؤلّف وبذلك فإنّ العلاقة بين النص والقارئ علاقة تبادليّة وليست علاقة في اتّجاهٍ واحد (عبيد، 2016). هكذا أصبح الخطاب بالمعنى اللساني الواسع يعني كلّ إنتاج ذهني منطوق، ومكتوب يقوله فرد أو جماعة حقيقية أو اعتباريّة كالمؤسسات المختلفة وهذا الخطاب قد يكون سياسيًّا أو اجتماعيًّا، وتتمّ من خلاله محادثة عادية أو مقابلة رسمية أو مقالًا مكتوبًا أو رسالة أو وثيقة (نصر، 1990).

ب -مفهوم الخطاب خارج علم اللسانيات (تحليل الخطاب السياسي(

خارج علم اللسانيات ينتمي كلّ من فوكو وإدوارد سعيد لهذا الاتجاه وهو ما يُطلَق عليه مدرسة تحليل الخطاب السياسي. تختلف هذه المدرسة عن المدارس اللسانية في نظرتها وتحليلها للخطاب، كما ظهر هذا الاتجاه في الفكر ما بعد الحداثي في فرنسا، وفيه يُنظر إلى العالم أنّه ليس مجرد مجرّة من النصوص، وأنّ بعض النّظريات تتجاهل حقيقة أنّ الخطاب متداخل مع السّلطة (عبيد، 2016). ذهب ميشال فوكو إلى ما أسماه المنهج الأركيولوجي (التحليل الحفري) وهو أداة منهجية تُستخدَم في تحليل الأفكار وأحد أشكال هذا المجال هو تحليل الخطاب. ويعني هذا المنهج بالحفر على الأشياء محاولة إظهارها وإبرازها، ومن ثَمّ فهو يقرّر الواقع ولا يفسّره. كما أنّه يهتمّ بالبُعد التاريخي من التغيّر الخطابي، فما يمكن قوله يتغيّر من حقبة إلى أخرى فالتاريخ عند فوكو هو ذلك الخطّ المتقطّع من الممارسات الخطابيّة. ويمثّل الخطاب عند فوكو السلطة والقوة كما أنّه هو ذاته يمثّل مجالاً للرغبة والسلطة. أمّا إدوارد سعيد الذي يُعدّ من أتباع فوكو المميَّزين، فهو يربط بين الخطاب والصراعات الاجتماعيّة والسياسية، وقد تجلّى ذلك بوضوح في كتابه (الاستشراق 1978) وقد قام بتناول إدراكات وتصورات الاستعمار وما يُسمّى بالاستعمار الجديد، وكيف انعكست هذه الإدراكات والتصورات في الأفكار والأبحاث التّاريخيّة وفي الجغرافيا والأدب والفلسفة (عبيد، 2016). ولكنّ إدوارد سعيد يختلف عن فوكو في نقطة مهمّة؛ فبينما نجد أنّ فوكو في حفريات المعرفة يهتمّ برصد، وتحليل إنتاج واستخدام المعرفة في السّياق الاجتماعي والتّاريخي الأوروبي، نجد أنّ إدوارد سعيد يهتمّ بهذا الرصد والتحليل والإنتاج والاستخدام للمعرفة في السياق الاستعماري للعالم الثالث، ومحاولات طمس تاريخه وهويته(Said ، 1978).

-3الخطاب الإعلامي

يشير محمد شومان في كتابه تحليل الخطاب الإعلامي الى أنّ هناك غموضًا، وعدم اتفاق بين المدارس حول مفهوم الخطاب الإعلامي منذ ظهور مدارس تحليل الخطاب في مطلع الثمانينات، إلا أنّه يتابع أنّه يجب التسليم في كون الخطاب الإعلامي ممارسة اجتماعيّة متغيرة ودائمة التغيير، والتطوّر مضيفًا أنّ هذا الخطاب ليس شيئًا واحدًا بل هناك عدد من الخطابات الإعلاميّة المتصارعة، أو المتعاونة والتي تعكس حقائق اجتماعيّة متباينة ومصالح متعارضة (شومان، 2007). إن عدم الاتفاق على مفهوم موحّد للخطاب، لم يمنع انتشار بحوث تحليل الخطاب الإعلامي والذي يعدُّ تطورًا مهمًّا في مجال التحليل الكيفي للرسائل الإعلاميّة، وشروط انتاجها وتداولها وتأثيرها في الجمهور بالاضافة الى تفاعلاتها مع الظروف التاريخيّة والمجتمعيّة.

يُعدُّ الخطاب الإعلامي عملية اتصاليّة متكاملة تبدأ من منتج الخطاب الإعلامي، الذي ينطلق من فكر أو وجهة نظر أو عقيدة معينة ويعتمد في ذلك على صياغة الخطاب الاتصاليّ، أيّ الرسالة بأسلوب محكم من ناحية الشكل والمضمون معتمدًا على أساليب الاقناع والتأثير، واختيار الرموز اللفظية والعلاماتيّة المتنوعة والأشكال والقوالب الفنية عبر وسائل الاتصال التقليديّة: كالصحف والإذاعة والتلفزيون أو الحديثة كالانترنت، ووسائط التواصل الاجتماعي المتعددة وذلك بمراعاة السياق والظروف والبيئة، التي تحيط العملية الاتصاليّة وتتحكم بمساراتها (محمّد، 2019). وللخطاب الإعلامي وظائف متعددة تندرج بين الإعلام والإخبار من جهة والدعاية من جهة أخرى، والترويج لفكرة أو شخص أو سلعة معينة كما غيرها من الوظائف الاتصاليّة، وبذلك

يؤدي الخطاب الإعلامي دورًا أساسيًّا في تشكيل وعي الأفراد والتأثير في عقول الجماهير، ومسارات الرأي العام بما يتواءم ومصالح القائم بالاتصال مصدر الخطاب (محمّد، 2019.(

مما سبق نستنتج أن الخطاب الإعلامي يتشكل من مجموع الرسائل الاتصاليّة الصادرة عن وسائل إعلاميّة متنوعة مكتوبة، ومسموعة ومرئيّة التي تنتج من قبل القائم بالاتصال، وتُنشر وفق سياقات خاصة وتحمل وجهات نظر مختلفة تسعى الى إحداث تأثير في الجمهور المتلقي مستخدمة مختلف أساليب الاقناع والترويج.

ثانيًا: تحليل الخطاب

إنّ تحليل الخطاب هو تقنية تستخدم في العلوم الاجتماعيّة، وتُسمح ليس فقط بدراسة الكلام وإنّما دراسة فعل الكلام لذا يقال عنه منهج "القولفعليّة" وبحسب Dominique Maingueneau فإنّ هذا المنهج يحلّل صياغة النص بالنسبة الى المجتمع أو المكان الاجتماعي الذي انتِج فيهMaingueneau) ، .(1998

إن تحليل الخطاب يجيب على "كيف" و"لماذا" بالإضافة الى الأسئلة الأربعة التقليدية والتي هي "من، ماذا، متى وأين؟" بالتركيز على صياغة النّص والسّياق، الذي ولد فيه بالإضافة الى نشاط المتحدث.

والخطاب منتجٌ لغويّ ومجرّد قراءة هذا الإنتاج اللغوي يعني تحليله، حتى ولو كان هذا التحليل بعيدًا من أساليب تفكيك هذا الخطاب واللغويات المستخدمة فيه، وكذلك الأدوات والأساليب المنهاجيّة اللازمة لهذا التحليل (عبيد، 2016.(

في هذا السّياق؛ يرى هاريس (Harris, Z.S) أنّ تحليل الخطاب منهج في البحث في أيّما مادة مشكَّلة من عناصر متميّزة ومترابطة في امتدادٍ طوليّ؛ سواء أكانت لغةً أم شيئًا شبيهًا باللغة، ومشتملة على أكثر من جملة أوليّة، إنّها بنية شاملة لشخص الخطاب في جملته أو أجزاء كبيرة منه (عبيد، 2016.(

كما يرى هاريس أنّ تحليل الخطاب لا يمكن حصره في عمليّة الصيغ اللغوية المستقلة عن الوظائف، والأغراض التي وضعت وخصّصت هذه الصيَغ للقيام بها في المعاملات الإنسانيّة. ولذلك يجب أن يضع محلّل الخطاب في الحسبان ما استُخدمت هذه اللغة من أجله، وليس التركيز على تحديد الخصائص الشكليّة للغة كما يفعل بعض الألسنيين (ماكدونيل، 2001). عند الحديث عن تحليل الخطاب تحديدًا، فهذا يحيلنا الى التحليل analyseوالذي يأتي بمعنى فكك، والتّحليل عند العرب هو تفكيك عناصر الشيء، و"التحليل الكيماوي هو محاولة معرفة ما يدخل في تركيب المواد أو معرفة خصائصها" (طنوس، 2014، صفحة 8). وتحليل الخطاب لا يقتصر على تحليل النّص أيّ التحليل اللغوي أو اللساني، وإنّما يتعدى ذلك الى ما يحيط بالنص من ظروف سياسيّة، تاريخيّة، اجتماعيّة ونفسيّة. والخطاب رسالة أرسِلت من طرف وتُلُقّيت من طرف آخر تبعًا لسياق معين، وتحليل الخطاب يحاول أن يفهم الرسالة التي يريد المرسل لها أن تصل الى المتلقي تبعًا للسياقات السياسيّة والاجتماعيّة والتّاريخيّة واللغويّة. يرى نبيل أيوب في كتابه "النقد النصي وتحليل الخطاب" أنّ الخطاب هو "مجموعة من الملفوظات المتبادلة في موقف تواصلي، اختُص ليعيّن الحديث المنطوق، وهو يعرف بتماسك أجزائهCohesion ، وترابط أفكاره) "Coherence ايوب، 2011، صفحة 231). الخطاب إذًا رسالة يرسلها المتكلم، ويتلقاها السّامع تبعًا لسياق معيّن، وتحليل الخطاب يسعى الى فهم داخل الخطاب وخارجه بما يتناسب مع السّياقات السياسيّة والاجتماعيّة والتّاريخيّة واللغويّة (طنوس، 2014، صفحة 9.(

لقد استخدم العالم الهولندي توين فان دايك السّياق بمعنى الموقف، أو البيئة الاجتماعيّة عادًّا أنّ الطريقة التي يفهم بها الناس بيئتهم الاجتماعيّة، تحدد سياق الخطاب أو الخطابات وممارستهم الاجتماعيّة بواسطة مفهوم النّماذج الذّهنيّة التي تتحول الى نماذج سياقيّة (ايوب، 2011) وتتكون النماذج السياقيّة من عدد من العناصر إضافة الى الهويات والأدوار والمعرفة، ومن مكونات النّماذج السياقيّة المهمّة هو مكوّن المعرفة، إذ يكيّف مستخدمو اللغة ما يكتبونه أو يقولونه وفقا لما يعتقدون بأن المتلقين يعرفونه.

ويعود مفهوم تحليل الخطاب الى أبحاث فوكو في ستينات القرن الماضي، إذ قام بوضع تعريف للخطاب في كتابه "حفريات المعرفة". ويرى فوكو أنّ الخطاب هو مجموعة من العبارات بوصفها تنتمي الى ذات التّشكيلة الخطابيّة (formation discursive) فهو ليس وحدة بلاغيّة أو صوريّة قابلة لأن تتكرر الى ما لا نهاية، يمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها، بل هو عدد محصور من العبارات التي نستطيع تحديد شروط وجودها (فوكو، 1987، صفحة 108). ويقدّم فوكو تعريفًا للممارسة الخطابيّة بوصفها "مجموعة من القواعد

الموضوعيّة والتّاريخيّة المعينة والمحددة دومًا في الزّمان والمكان والتي حددت في مدَّة زمنية بعينها، وفي نطاق اجتماعيّ واقتصاديّ وجغرافيّ ولسانيّ معطى، شروط ممارسة الوظيفة العباريّة" (فوكو، 1987، صفحة 109). ويرى فوكو أن الأشياء تقال في ارتباط ببعضها البعض وأنّ الجملة قد تحتمل "معنيين مختلفين في وقت واحد، وأنّ نفس المعنى الجلي الذي يقبله جميع الناس، قد يخفي خلفه معنى باطنًا ما وأنّ وراء الصيغة المرئيّة ثمة صيغة أخرى تحكمها وتوجهها" (فوكو، 1987، صفحة 102.(

لقد الت ابحاث المدرسة الفرنسيّة وفقًا لاعمال فوكو، وتلاميذه الى ضبط مفهوم الخطاب ضمن أربعة أصناف وهي صنف "الحقل الخطابي" مثل الخطاب الإسلامي، الخطاب العلماني، الخطاب القومي وغيرها من التصنيفات. وصنف "نمط الخطاب" مثل الخطاب الصحافي، الإداري، السياسي وغيرها من الأنماط أو صنف "انتاجات كلاميّة" وهي تعنى بصنف من المتكلمين وهنا الحديث عن خطاب لاعبي كرة القدم، خطاب ربات المنازل وغيرها. ونصل أخيرًا الى الصنف الأخير وهو "وظيفة الكلام" مثل الخطاب السجالي أو الخطاب الإلزامي وغيرها (الفجيري، 2014، صفحة 534). ويربط الفيلسوف الفرنسي الخطاب بالسلطة عادًّا أن أحد أشكال الخطاب الاجتماعي إنتاج السلطة، إذ إن الخطاب هو موضع استثمار الرغبة والسّلطة، ذلك أنّ الأخيرة تستخدم وسائل قمعيّة تجيز ما يمكن أن يُقال، وتقمع ما لا تجيزه فنجد في الخطاب ما هو مسكوت عنه، كما نجد مساحات من الإفصاح والإعلان وذلك تبعًا لما حدّدته السلطة المتحكمة (طنوس، 2014.(

كما يُعِدُّ فوكو أنّ السلطة تصنع الخطاب "أنّ الخطاب ينقل السلطة ويقويها ولكنه بالمقابل يلغمها، يفجرها، يجعلها هزيلة ويسمح بالغائها" (فوكو، 1987، صفحة 133) ويرى اليامين بن تومي، الأستاذ المحاضر في جامعة سطيف 2 الجزائرية والمتخصص في تحليل الخطاب، أنّ محلل الخطاب ملزم بالبحث في ما تُستعمل اللغة لأجله، أيّ أنّه يهتم بالجانب الاستعمالي للغة لا الجانب اللغوي أو الفلسفي (تومي، 2015، صفحة 7). فالبعد اللغوي يتعلق بالنّص والنّص في اللسانية كيان مستقل معزول عن محيطه على عكس الخطاب الذي هو نص منظور اليه في سياقه الاجتماعي. الخطاب إذًا؛ هو مجموع القواعد الدّلاليّة الكتابيّة والشّفوية، وهو الأداة المنهجيّة التي عمل فوكو على وضعها من أجل أن يعيد الاعتبار لكل العناصر الحافة بالعمليّة الدّلاليّة، والفاعلة فيها حتى أصبح النّص مجرد عنصر من بين عناصر أخرى لا تقل أهمّيّة من أجل صياغة المعنى وتشكيل الدّلالة وهذا يعني أنّ "الخطاب هو كل تلك العناصر مجتمعة في علاقتها بالنص، والتّاريخ والسّياق وأطراف الدّلالة والتّواصل" (الفجيري، 2014، صفحة 534.(

ثالثًا: أدوات تحليل الخطاب

يعدُّ تحليل الخطاب مدخلًا منهجيًّا متكاملًا تندرج تحته عدة أدوات منهجيّة تتيح إمكانيّة الوصف، واستخلاص الدلالات المختلفة للمادة التي تُحَلل وايجاد تفسيرات متعددة لها، ويمكن للباحث استخدام أكثر من أداة في التحليل حتى يتمكن من النفاذ الى عمق الخطاب، وقد تعددت الأدوات المنهجيّة المستخدمة في تحليل الخطاب وأبرزها:

-1التحليل التوزيعي

يُسمّى أيضًا "تحليل المنطوق"، وهذ المنهج يعمل على تقطيع النص، وإجراء تحويلات نحويّة عليه بُغية ردّها إلى بنيتها الأكثر بساطة، فيسهل بذلك مقارنتها ببعضها، وتصنيفها ضمن فئاتٍ متعادلة نحوية وتخضع هذه العملية المعقّدة لقوانين نحوية محددة (الماجد، 2000). ولكنّ هذا المنهج لا يتناسب إلّا مع النصوص القصيرة لأنّه يستغرق وقتًا طويلًا في البحث.

-2تحليل القوى الفاعلة

يقوم هذا التحليل على أساس تصوّر الخطاب لمجموعة من الفاعلين ذوي الأهمّية (القوى المساعدة الإيجابيّة والقوى المعاكسة). ورصد الأفعال والأدوار المستوفية لهم في الخطاب المدروس، ويقيّم هذه الأدوات والصفات سلبًا وإيجابًا من وُجهة نظر الخطاب. ولكنّ هذه الأداة لا تساعد إلّا في تحليل القوى الفاعلة وجزئيًّا في تحليل التّصورات والمفاهيم (عبيد، 2016.(

-3تحليل حقول الدّلالة

يختار الباحث هنا عددًا من المفاهيم التي يريد دراستها في خطابٍ أو نصٍّ ما، ثمّ يستخرج من النص شبكة علاقات كلّ من هذه المفردات، وبعد ذلك يقوم الباحث بترتيب وتصنيف هذه العلاقات حسب فئات دلالة محدّدة مسبقًا ليحصل الباحث على الشبكات الآتية: (شبكة علاقات المفاهيم – شبكة الصفات والمواصفات – شبكة الأفعال – شبكة المعادلات) (ياسين، 1980.(

-4أداة توليمان الحجاجيّة

يستند هذا النموذج في مرجعيته إلى المنهج الحجاجي الذي عُرف منذ أرسطو، وهو يتّسم بتحقيق التواصل بين الخطيب (المرسل) والمخاطَب (المستقبِل)، وذلك من خلال قدرة الخطاب الإقناعيّة، وحججه القويّة والصّادقة وخلوّه من الحجج الضعيفة والمغلوطة. طوّر هذا المنهج ستيفن توليمان في شكل نموذج يتكوّن من ستّة مفاهيم مع خلوّه من المغالطات داخل الخطاب، والمعارضات من خارجه (عبيد، قضية الهوية الوطنية في الخطاب السياسي السوداني، 2016.(

رابعًا: مدارس تحليل الخطاب

تتعدد التخصصات والمدارس اللغوية والألسنية والفلسفيّة وتتداخل، وهي التي اهتمت بمفهوم الخطاب وتحليله واستخداماته ما أدى في بعض الأحيان الى إحداث غموض في إدراك مفهوم الخطاب، والأسس النّظريّة والمعرفيّة لمنهجيّة تحليل الخطاب واستخداماته ومن هنا تأتي أهمية عرض المدارس المتنوعة وتحليلها، في تحليل الخطاب بشكل عام والخطاب الإعلامي بشكل خاص، وقد اخترنا الوقوف عند أبرز مدارس تحليل الخطاب وهي التحليل السوسيولوجي والتّحليل السيميائيّ والتّحليل البراغماتي.

-1التحليل السوسيولوجي للخطاب

من وُجهة نظر سوسيولوجية، يُعرَّف الخطاب على أنّه أيّ ممارسة يقوم بها الأفراد دامجين الواقع مع المعنى. ومن أجل تحليل الخطاب سوسيولوجيًّا، ينبغي تحليل الخطاب في البداية على ثلاثة مستويات تحليليّة: هي المستوى النّصي، والسّياقي، والتّفسيريRuiz) ، .(2009

يتيح لنا التّحليل النصيّ للخطاب وصف الخطاب مع تركيزه بشكلٍ أساسي على الكلام، واحتساب الخطاب موضوع الدّراسة. أمّا التحليل السّياقي فهو يتيح لنا فهم الخطاب لأنّه يركّز على اللفظ والنطق، واحتساب الخطاب فِعلًا أو حدثًا فريدًا. وأخيرًا يقدّم التّحليل التفسيري شرحًا للخطاب من خلال معالجة الجوانب السوسيولوجية واحتساب الخطاب معلومات، أو أيديولوجيّة أو منتج اجتماعيRuiz) ، .(2009

1.1التحليل النصيّ

يركّز تحليل الخطاب، في المرحلة الأوليّة، على التناصّ أيّ التفاعل بين نصين، والعلاقة بين الخطاب والنص واضحة وذات معنى واحد، ولهذا لا ينبغي الخلط بين المفهومَين أو عدّهما مفهومًا واحدًا. يُعِدُّ التحليل النصي أنّ الخطاب موضوعًا ما، ويُضفي عليه صفة الموضوعيّة، ويجعله مثيرًا للاهتمام لمن يُقاربون تحليل الخطاب من وُجهة نظر علمية إيجابيةRuiz) ، .(2009ينطوي التّحليل النصّي على تخصيص أو تحديد تركيبة الخطاب وبُنيته. لا يهدف التحليل النصّي إلى تقديم نسخة مختصرة للخطاب من أجل تسهيل دراسته، بل العكس يتوسّع في تقديم المعلومات ويُسهب في تقديمها عبر تقنيَّتَين هما: تحليل المحتوى، والتحليل السيميائي. تحليل المحتوى هو تجزئة النص إلى وحدات من المعلومات، وذلك بحسب رموزها وتصنيفها. وغالبًا ما يُعدّ تحليل المحتوى طريقة استقرائيّة صارمة حتى أنّه يُسمّى بعملية بناء النظرية. هذا النوع من التحليل تديره فئات نظرية محدّدة هي: أهمّية النص أو قيمته، وكيفية تقسيمه، والأكثر أهمّيّة من ذلك اعتماد كيفيّة تصنيف أجزاء النص على الأهداف النّظرية للباحث. لا ينفي التحليل السيميائي أهمّية المعاني المستخرجة من الخطاب عبر تحليل المحتوى، بل يحوّلها إلى إشكاليّة مفادها أنّه لا يمكن تحديد معنى الخطاب من خلال اللغة، أو على الأقلّ لا يمكن تحديده بأسلوب مطلق وحاسم. لا علاقة هرميّة أو مبرمجة بين اللغة والخطاب، بل العلاقة بينهما جدلية إذ تستخدم الخطابات اللغة كوسيلة للتعبير، ولكنّ ذلك يؤدي أيضًا إلى تعديل اللغة أو تجديدهاRuiz) ، .(2009

1.2التحليل السّياقي

يُفهَم السّياق على أنّه الحيّز الذي يظهر فيه الخطاب وفيه يكتسب الخطاب معنىً. وعلى هذا المستوى، يُعدّ الخطاب حدثًا فريدًا قام به أشخاص معيّنون في مكان وزمان محدّدَين، وضمن عالم من الرّموز المحددة ولديهم غاياتهم المنطقية الخاصة. وبناءً عليه، يُقسَم التحليل السياقي إلى نوعين: تحليل سياقي موقفي وتحليل سياقي للعلاقة بين النصوص.

ويتطلّب تحليل الخطاب السياقي وصفًا مفصّلًا للظروف التي صدر فيها الخطاب، وخصائص الأشخاص الذين صدر عنهم الخطاب. ويركّز هذا النوع من التحليل أكثر على الجوانب البراغماتيّة للخطاب، كما أنّه يركّز على التفاعلات، والعمليات الحوارية التي ساهمت في إنتاج الخطاب. يرتكز النوع الثاني من التحليل السّياقي على التحليل المقارن إذ يستنبط معنى الخطاب بالرجوع إلى خطابات أخرى(Ruiz ، 2009).

1.3التحليل التّفسيري

ينطوي التحليل السوسيولوجي للخطاب على صناعة الروابط بين الخطابات التي حُلِلت وبين الحيّز الاجتماعي الذي ظهرت فيه الخطابات. وقد تكون هذه الروابط والصلات متنوعة جدًا بحسب التوجّه النّظري الخاص بالمُحلّل. ومن النّاحية العملية تنحصر التفسيرات السوسيولوجيّة للخطاب في ثلاثة أنواع هي: التفسير الذي يُعِدُّ الخطاب معلومة اجتماعيّة، ونوع آخر يُعِدّه انعكاسًا للأيديولوجيات التي يعتنقها الأفراد المشاركين في إعداد الخطاب، ونوع ثالث من التفسير يُعِدّ الخطاب نتاجًا اجتماعيًّا(Ruiz ، 2009).

-2التّحليل السّيميائي للخطاب

مصطلح السيميائية هو علم يبحث في دلالة الإشارات في الحياة وأنظمتها اللغوية، لذا نجد أنّ هذا المفهوم له حيثيات وأصول لتسميته ومكوّناته، فالسيميائية والسيميولوجيا تُعنى بالعلامة التي شاع استخدامها كمصطلح غربي في اللفظة السويسرية (Semiologie) والفرنسية(Semiotic) ، وكلاهما مشتقّ من الجذر اليوناني (Semeion)، فهي تسعى إلى تواصل معاني الدّلالات الواسعة من خلال علامات(Signs) ، ونجد أنّ هذين المفهومَين قد أتيا بنفس المعنى وهو العلامة (الدباغ، 2017). العلاماتيّة أو السيميولوجيا هي علم العلامات أو السّيرورات التأويلية، وهي إحدى علوم اللغة التي تدرس الإشارات، أو العلامات، وفق نظام منهجي خاص يبرز ويحدد الإشارة، أو العلامة اللغويّة، أو التّصويرية في النّصوص الأدبيّة، وفي الحياة الاجتماعيّة. والسّيميائيّة كمنهج نقدي هو منهج يهتم بدراسة حياة الدلائل داخل الحياة الاجتماعية، ويحيلنا إلى معرفة هذه الدلائل، وعلتها، وكينونتها، ومجمل القوانين التي تحكمها (رضوان ل.، 2017، صفحة 785).

فالسيميائية إذًا علمٌ يعرّفنا على وظيفة هذه الدّلائل والقوانين، التي تتحكّم فيها ومجال عمله هو اللغة، وهذا ما جعل السيميولوجيا ممارسة استقرائية استنتاجيه، تنطلق في تحليلها للنص الأدبي من عدّ "النص يحتوي على بنية ظاهرة، وبنية عميقة، يجب تحليلهما وبيان ما بينهما من علائق" (رضوان ل.، 2017، صفحة 785) وتقوم على إطلاق الإشارات كدوال حرة، لا تقيدها حدود المعاني المعجميّة، ويصير للنص فعاليّة قرائيّة إبداعيّة؛ تعتمد على الطاقة التّخييليّة للإشارة في تلاقي بواعثها مع بواعث ذهن المتلقي، ويصير القارئ المدرب هو صانع النص. تبحث السّيميائيّة عن المعنى من خلال بنية الاختلاف ولغة الشّكل والبنى الدالة. وهي لذلك لا تهتمّ بالنّص ولا بمن قاله، وإنّما تحاول الإجابة عن تساؤل وحيد هو كيف قال النص؟ وما قاله؟ ومن أجل ذلك يفكك النص ويعاد تركيبه من جديد ليحدّد ثوابته البنيويّة. إنّ التحليل السيميائي هو ذاته تحليل الخطاب، وهو يميّز بين "السيموتيقا النصية" وبين اللسانيات البنيوية للجملة، ذلك أنّ هذه الأخيرة حين تهتمّ بالجملة تركيبًا وإنتاجًا فإنّ السيموتيقا تهتمّ ببناء نظام لإنتاج الأقوال والنصوص وهو ما يُسمّى بالقدرة الخطابية (يوسف، 1997).

-3التّحليل التّداولي (البراغماتي) للخطاب

يعرّف طه عبد الرحمان كلمة تداول بقوله: "تداول الناس كذا بينهم يفيد معنى تناقله الناس وأداروه فيما بينهم" فمفهوم النقل والدوران مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة، فيُقال: "نقل الكلام عن قائلٍ بمعنى رواه عنه ويُقال دار على "الألسن" بمعنى جرى عليها والنّقل، والدوران يدلان في استخدامهما اللغوي على معنى التواصل وفي استخدامهما التّجريبيّ على معنى الحركة بين الفاعلين فيكون التداول جامعًا بين التواصل والتّفاعل فمقتضى التّداول يكون القول موصولًا بالفعل (طه، 2007). وجاء في لسان العرب لابن منظور:

"التداوليّة: جذورها "دول": الدُولة والدَولة والدولة: اسم شيء يتداول" (منظور، 1997، صفحة 432). والتّداوليّة اصطلاحًا هي "علم جديد للتواصل، يدرس الظاهرة اللغويّة في مجال الاستعمال" (مسعود، 2005، صفحة 16). ويُعدّ الفيلسوف الأميركي "شارل موريس" أول من استعمل مصطلح التداولية (pragmatique)وذلك سنة 1938 فهو يعرّف التداولية على أنّها ذلك العلم الذي يُعنى بالعلاقات بين العلامات ومستخدميها، والذي استقرّ في ذهنه أن تقتصر على دراسة ضمائر التكلّم والخطاب وظرفَي المكان والزمان "الآن، هنا" والتّعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئيًّا خارج اللغة نفسها أيّ من المقام الذي يجري فيه التّواصل" (موشلار و آن ريبول، 2003، صفحة 29). لقد ارتبط مفهوم الخطاب بالاستعمال الفعليّ للغة، وليس بالاستعمال المجرد وفي هذه الدّراسة نقوم بدراسة الخطاب بالنّظر الى سياقه الاجتماعي السياسيّ، ومحاولة فهم الفعل الذي ينتج عن الخطاب وهذا لا يتحقق إلّا من خلال البراغماتيّة التي تحمل معنى الفعل.pragma: action

والبراغماتيّة أو التداوليّة هنا ليست الفلسفة النّفعيّة الذرائعيّة le pragmatisme وإنّما المقصود هنا دراسة المعنى كما يعنيه المتكلم، وكما يفسره السّامع أيّ تحليل ما يعنيه المرسل أكثر من ما تعنيه الكلمات منفصلة، هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم "بل هي دراسة اللامرئي وهي لا تنفصل عن كيفية الإيصال تبعًا لمقاصد المتكلم والسامع" (طنوس، 2014، صفحة 230). لسانيًّا تعني البراغماتيّة "دراسة اللغة في علاقتها بالسياق المرجعي لعملية التخاطب، وبالأفراد الذين تجري بينهم العملية التّواصليّة" (ايوب، 2011، صفحة 239)، وتهتم البراغماتيّة بالمبادئ التي تحكم تأويل العلامات ليس بالاستناد الى المعاجم ، وإنّما على سياق القول وظروفه بما يتخطى المعنى اللغوي الى الحركات والايماءات كحركة الوجه والجسد وطريقة لفظ الكلمات. والبراغماتية تسمح بفهم وقراءة الدّلالات اللغوية وغير اللغوية من تنغيم للصوت أو من حركات الجسد.

ولدت البراغماتية من التقاء العديد من التخصصات والاتجاهات، وهي ليست نظامًا مستقلًا وموحدًا إذ لم يتفق العلماء، والباحثين على تحديدها وتوصيفها توصيفًا دقيقًا تمام كما هو الحال مع مفهوم الخطاب بشكل عام. تشكّل البراغماتيّة في الحقيقة مفترق طرق متعدد الاختصاصات من لغويين وعلماء منطق، وفلاسفة وعلماء نفس واجتماعيين ما يجعل لهذه المقاربة ثراءً مميزا. ظهرت المقاربة البراغماتيّة للخطاب مع تطور الدراسات حول تحليل الخطاب في القرن العشرين، التي كانت تتناول الخطاب من وجهة نظر علم الدّلالة semantique التي تدرس علاقة الاشارات والكلمات والجمل بالأشياء وحالات الأشياء، يدرس هذا المنهج اذا المعنى والمرجع والحقيقة. ومن ناحية أخرى المنهج اللغوي syntaxique والذي يدرس علاقة الدلالات في ما بينها والكلمات التي تشكل الجملة وتسلسل الجمل، يحاول هذا المنهج صياغة قواعد التعبير وقواعد تحويل العبارات الى عبارات أخرى بهدف إيجاد قوالب للتعبير الأفضل. لكن هذين المنهجين لا يستنفدان مشكلة المعنى، والحقيقة وهنا ظهر المنهج البراغماتي الذي يدرس علاقة الإشارات بمستخدميها والجمل بمطلقيها (Carnap)، .(2007ويحدد المنهج البراغماتي ثلاثة مفاهيم أساسيّة في الخطاب:

- **الفعل أو فعل الكلام: اللغة لا تخدم فقط تمثيل العالم، وإنّما تقوم بإنجاز فعل فالكلام هو الفعل، إنّه على سبيل المثال تصرف مع الاخرين ، هو إذا فعل الكلام وتوجيه مفهوم الفعل هذا نحو مفاهيم أكثر عدلًا وشمولية للفعل والتّفاعل.**
- **مفهوم السّياق: الظروف التي حصل فيها نطق الخطاب، والتي تشمل الزمان والمكان والوقت وهوية المتحدثين وكل ما يجب معرفته من أجل فهم وتقييم ما يقال. وتظهر أهمية السّياق عندما تصل رسالة مجهولة من طرف مجهول المكان، والزمان فتصبح الرّسالة غامضة وغير واضحة.**
- **مفهوم الأداء: يفهم منه وفقًا للمعنى الأصلي للكلمة انجاز الفعل في السياق، أيّ معرفة كفاءة المتحدثين ومعارفهم واتقانهم للقواعد، ويمكن تسميتها الكفاءة التواصليّة.**

يرى "فان دايك" أنّ الخطاب مجموعة متكاملة من الأفعال الكلاميّة "فعندما يكون فعلان كلاميان مترابطين، فإنّ الفعل الأول يكون شرطًا ممكنًا لتحقق الفعل الثاني. وكذلك تُربط القضايا المتتابعة بالقضية الكبرى الشّاملة" (ايوب، 2011، صفحة 240.(

في الحقيقة إن الناس لا يتذكرون الأفعال الكلامية التفصيليّة، التي يتضمنها الخطاب إنّما يأخذون الخلاصة من الخطاب، أو الهدف منه أيّ الفعل الكلامي الأكبر والأشمل وبذلك لا يقتصر فهم الخطاب على البعد الشكليّ أيّ البنية التنظيميّة للخطاب، أو على البعد الدّلالي أيّ موضوع الخطاب إنّما صار يشمل البعد البراغماتي الذي يأخذ بالحسبان الفعل الكلامي العام بالإضافة الى أفعال الاتصال الأخرى (ايوب، 2011(

وتهتم البراغماتية بشكل أساسي بفهم المضمر من الكلام، فالمعلن منه هو المعبر عنه مباشرة في الملفوظة أيّ الصريح والواضح الذي لا لبس فيه، أمّا المضمر فهو ما يمكن أن تحتمله الأقوال ويُستَخرج استنباطًا أو استقراء بعد وضع الملفوظة في سياق معين. تستعين البراغماتية بأفعال الكلام من أجل فهم قصديّة التواصل، تبعًا لنظرية الباحث الإنكليزي جون أوستين الذي يُعدّ أنّ "القول يعني الفعل" أيّ أنّ المتكلم عند استعماله اللغة، يقوم بفعل وعند تلفّظه في موقف يعيّن تنكشف قصديته" (ايوب، 2011، صفحة 240). والمراد من هذه النظرية أنّ المتكلم عند استعماله اللغة لا ينتج كلمات إنما يقوم بفعل، وعند تلفظه في موقف معين تنكشف قصديته "فأفعال الكلام هي الملفوظات المتحققة فعلًا من قبل متلفظ ما في موقف ما" (ايوب، 2011، صفحة 240). في العام 1955 قدّم الفيلسوف البريطاني جون أوستين سلسلة محاضرات في جامعة هارفرد تحت عنوان "ماذا نفعل حين نتكلم؟" وقد أحدثت ضجة كبيرة عند اللسانيين والفلاسفة وعلماء الاجتماع، ونشرت محاضراته في كتاب تحت عنوان "حين نتكلم نفعل" وأصبح مفهوم الفعل الكلامي نواة مركزية في الدراسات التّداولية. لقد قسم أوستين الأفعال الكلامية إلى ثلاثة أقسام:

- **فعل القولacte locutoire :**

ويعني بذلك تأدية الأصوات أيّ القول وصوته، والجهد الذهني الذي يتطلبه والمفاهيم الممثلة بكلمات والربط في ما بينها.

- **فعل تحقيقي acte illocutoire :أو فعل قوة القول وهو ينتج مما يؤديه فعل القول الأول من معنى إضافي الى جانب معناه الأول المباشر (ايوب، 2011) وهي بمعنى آخر ما ينتج عن الأفعال الكلاميّة من أمر أو وعد أو تهديد "فالمتكلم حين يتلفظ بقول ما ينجز دلالة قصدية تحدث تغييرًا في وضع المتخاطبين وهو ما سماه أوستين بقوة الفعل" (ايوب، 2011، صفحة 240.(**
- **فعل أثر القول acte perlocutoire :أو الفعل الناتج عن القول، وهو الأثر الذي يحدثه فعل القول التحقيقي في المتلقي. ويرى أوستين أن المتكلم قد يتسبب للمخاطب بردة فعل فكرية أو شعورية: كالإقناع أو الإرشاد أو التّضليل أو الحماسة أو التثبيط (طنوس، 2014**

8-المنهج السيميولوجي :

مفهوم السميولوجيا وخطواتها المنهجية: السيميولوجيا هو علم العلامات أو الإشارات أو الدول اللغوية أو الرمزية سواء أكانت طبيعية أم اصطناعية، ويعني هذا أن العلامات إما يضعها الإنسان اصطلاحا عن طريق اختراعها واصطناعها والاتفاق مع أخيه الإنسان على دلالاتها ومقاصدها مثل: اللغة الإنسانية ولغة إشارات المرور، أو أن الطبيعة هي التي أفرزتها بشكل عفوي وفطري لادخل للإنسان في ذلك كأصوات الحيوانات وأصوات عناصر الطبيعة والمحاكيات الدالة على التوجع والتعجب والألم والصراخ مثل: آه، آي.....

وإذا كانت اللسانيات تدرس كل ماهو لغوي ولفظي، فإن السيميولوجيا تدرس ما هو لغوي وماهو غير لغوي، أي تتعدى المنطوق إلى ماهو بصري كعلامات المرور ولغة الصم والبكم والشفرة السرية ودراسة الأزياء و طرائق الطبخ. وإذا كان فرديناند دو سوسير F.De.Saussure يرى أن اللسانيات هي جزء من علم الإشارات أو السيميولوجيا Sémiologie ، فإن رولان بارت R.Barthes في كتابه" عناصر السيميولوجيا" يقلب الكفة فيرى بان السيميولوجيا هي الجزء واللسانيات هي الكل. ومعنى هذا أن السيميولوجيا في دراستها لمجموعة من الأنظمة غير اللغوية كالأزياء والطبخ والموضة والإشهار تعتمد على

عناصر اللسانيات في دراستها وتفكيكها وتركيبها . ومن أهم هذه العناصر اللسانية عند رولان بارت نذكر: الدال والمدلول،واللغة والكلام، والتقرير والإيحاء، والمحور الاستبدالي الدلالي والمحور التركيبي النحوي. وإذا كان الأنگوسكسونيون يعتبرون السيميولوجيا إنتاجا أمريكيا مع شارل ساندرس بيرس Perce في كتابه" كتابات حول العلامة"، فإن الأوربيين يعتبرونها إنتاجا فرنسيا مع فرديناند دوسوسير في كتابه " محاضرات في علم اللسانيات" سنة 1916م. وإذا كانت السيميولوجيا الأمريكية مبنية على المنطق وفلسفة الأشكال الرمزية الأنطولوجية (الوجودية) والرياضيات، فإن السيميولوجيا الفرنسية مبنية على الدرس اللغوي واللسانيات.

وإذا كان مصطلح السيميولوجيا يرتبط بالفرنسيين وبكل ماهو نظري وبفلسفة الرموز وعلم العلامات والأشكال في صيغتها التصورية العامة ، فإن كلمة السيميوطيقا الأمريكية Sémiotique قد حصرها العلماء في ماهو نصي و تطبيقي و تحليلي. ومن هنا يمكن الحديث عن سيميوطيقا المسرح وسيميوطيقا الشعر وسيميوطيقا السينما. وعندما نريد الحديث عن العلامات علميا أو نظريا أو تصوريا نستخدم كلمة السيميولوجيا Sémiologie.

وتتعدد الاتجاهات السيميولوجية ومدارسها في الحقل الفكري الغربي، إذ يمكن الحديث عن سيميولوجيا بيرس، وسيميولوجيا الدلالة، وسيميولوجيا التواصل، وسيميولوجيا الثقافة مع المدرسة الإيطالية (أمبرطو إيكو Eco وروسي لاندي Landi)، والمدرسة الروسية" تارتو Tartu" (أوسبنسكي Uspenski ويوري لوتمان Lotman وتوبوروڤ Toporov وإڤانوڤ Ivanov وبياتيگورسكي Pjtigorski)، ومدرسة باريس السيميوطيقية مع جوزيف كورتيس Cortés وگريماس Greimas وميشيل أريفي M.Arrivé وجان كلود كوكيه Coquet وكلام Calame وفلوش Floche وجينيناسكا Geninasca وجيولتران Gioltrin ولوندوڤسكي Landovski ودولورم Delorme، واتجاه السيميوطيقا المادية التي تجمع بين التحليلين: النفسي والماركسي مع جوليا كريستيڤا J.kréstiva، ومدرسة ليون التي تتمثل في جماعة أنتروڤرن Groupe d’Entroverne، ومدرسة إيكس AIXمع جان مولينو J.molino وجان جاك ناتيي J.Natier التي تهتم بدراسة الأشكال الرمزية على غرار فلسفة إرنست كاسيرر Cassirer . ولكن على الرغم من هذه الاتجاهات العديدة يمكن إرجاعها إلى قطبين سيميولوجيين وهما: سيميولوجيا التواصل وسيميولوجيا الدلالة. إذاً، ماهي منهجية التحليل السيميوطيقي؟

2- خطوات المنهج السيميولوجي: قلنا سابقا إن السيميولوجيا علم الدوال اللغوية وغير اللغوية ، أي تدرس العلامات والإشارات والرموز والأيقونات البصرية. كما تستند السيميولوجيا منهجيا إلى عمليتي التفكيك والتركيب (تشبه هذه العملية تفكيك أعضاء الدمية وتركيبها) على غرار البنيوية النصية المغلقة. و نعني بهذا أن السيميوطيقي يدرس النص في نظامه الداخلي البنيوي من خلال تفكيك عناصره وتركيبها من جديد عبر دراسة شكل المضمون وإقصاء المؤلف والمرجع والحيثيات السياقية والخارجية والتي لا ننفتح عليها إلا من خلال التناص لمعرفة التداخل النصي وعمليات التفاعل بين النصوص وطبيعة الاشتقاق النصي وتيئير الترسبات الخارجية والمستنسخات الإحالية داخل النص المرصود سيميائيا. وعليه، فالسيميوطيقا هي لعبة التفكيك والتركيب تبحث عن سنن الاختلاف ودلالاته. فعبر التعارض والاختلاف والتناقض والتضاد بين الدوال اللغوية النصية يكتشف المعنى وتستخرج الدلالة. ومن ثم، فالهدف من دراسة النصوص سيميوطيقيا وتطبيقيا هو البحث عن المعنى والدلالة و استخلاص البنية المولدة للنصوص منطقيا ودلاليا. ونحصر منهجية السيميوطيقا في ثلاثة مستويات وهي:

أ- التحليل المحايث: ونقصد به البحث عن الشروط الداخلية المتحكمة في تكوين الدلالة وإقصاء كل ماهو إحالي خارجي كظروف النص والمؤلف وإفرازات الواقع الجدلية. وعليه، فالمعنى يجب أن ينظر إليه على أنه أثر ناتج عن شبكة من العلاقات الرابطة بين العناصر.

ب- التحليل البنيوي: يكتسي المعنى وجوده بالاختلاف وفي الاختلاف. ومن ثم، فإن إدراك معنى الأقوال والنصوص يفترض وجود نظام مبني على مجموعة من العلاقات. وهذا بدوره يؤدي بنا إلى تسليم بأن عناصر النص لا دلالة لها إلا عبر شبكة من العلاقات القائمة بينها. ولذا لا يجب الاهتمام إلا بالعناصر التي تبلور نسق الاختلاف والتشاكلات المتآلفة والمختلفة. كما يستوجب التحليل البنيوي الدراسة الوصفية الداخلية للنص ومقاربة شكل المضمون وبناه الهيكلية والمعمارية.

ت- تحليل الخطاب: إذا كانت اللسانيات البنيوية بكل مدارسها واتجاهاتها تهتم بدراسة الجملة انطلاقا من مجموعة من المستويات المنهجية حيث تبدأ بأصغر وحدة وهي الصوت لتنتقل إلى أكبر وحدة لغوية وهي الجملة والعكس صحيح أيضا، فإن السيميوطيقا تتجاوز الجملة إلى تحليل الخطاب. و تسعفنا هذه المستويات المنهجية كثيرا في تحليل النصوص ومقاربتها. ففي مجال السرد يمكن الحديث عن بنيتين : البنية السطحية والبنية العميقة على غرار لسانيات نوام شومسكي Chomsky. فعلى المستوى السطحي يدرس المركب السردي الذي يحدد تعاقب وتسلسل الحالات والتحولات السردية، بينما يحدد المركب الخطابي في النص تسلسل أشكال المعنى وتأثيراتها.

وإذا انتقلنا إلى البنية العميقة فيمكن لنا الحديث عن مستويين منهجيين: المستوى السيميولوجي الذي ينصب على تصنيف قيم المعنى حسب ما يقوم بينهما من العلاقات والتركيز على التشاكلات السيميولوجية، والمستوى الدلالي وهو نظام إجرائي يحدد عملية الانتقال من قيمة إلى أخرى ويبرز القيم الأساسية والتشاكل الدلالي .

ويعد المربع السيميائي Le Carré Sémiotique حسب گريماس المولد المنطقي والدلالي الحقيقي لكل التمظهرات السردية السطحية عبر عمليات ذهنية ومنطقية و دلالية يتحكم فيها التضاد والتناقض والتضمن أو الاستلزام. أما سيميولوجيا الشعر فتحلل النص من خلال مستويات بنيوية تراعي أدبية الجنس الأدبي كالمستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى الدلالي ، والمستوى التركيبي في شقيه: النحوي والبلاغي، والمستوى التناصي. أما فيما يتعلق بالمسرح فيدرس من خلال التركيز على العلامات المسرحية اللغوية والعلامات غير اللغوية. و بتعبير آخر يدرس المسرح عبر تفكيك العلامات المنطوقة (الحوار والتواصل اللغوي بصراعه الدرامي وتفاعل الشخصيات والعوامل الدرامية....) والعلامات البصرية (السينوغرافيا- التواصل- الديكور- الركح- الإنارة- الأزياء- الإكسسوارات- البانتوميم- الكوريغرافيا...).

3- سيميولوجـــيا التواصـــل : يستند التواصل حسب رومان جاكبسون R.Jakobson إلى ستة عناصر أساسية وهي: المرسل والمرسل إليه والرسالة والقناة والمرجع واللغة. وللتوضيح أكثر نقول: يرسل المرسل رسالة إلى المرسل إليه حيث تتضمن هذه الرسالة موضوعا أو مرجعا معينا، وتكتب هذه الرسالة بلغة يفهمها كل من المرسل والمتلقي. ولكل رسالة قناة حافظة كالظرف بالنسبة للرسالة الورقية، والأسلاك الموصلة بالنسبة للهاتف والكهرباء، والأنابيب بالنسبة للماء، واللغة بالنسبة لمعاني النص الإبداعي... هذا، و تهدف سميولوجيا التواصل عبر علاماتها وأماراتها وإشاراتها إلى الإبلاغ والتأثير على الغير عن وعي أو غير وعي. وبتعبير آخر تستعمل السيميولوجيا مجموعة من الوسائل اللغوية وغير اللغوية لتنبيه الآخر والتأثير عليه عن طريق إرسال رسالة وتبليغها إياه .ومن هنا فالعلامة تتكون من ثلاثة عناصر: الدال والمدلول

والوظيفة القصدية . كما أن التواصل نوعان: تواصل إبلاغي لساني لفظي (اللغة) وتواصل إبلاغي غير لساني (علامات المرور مثلا).

ويمثل هذه السيميولوجيا كل من برييطو Prieto ومونان Mounin وبويسنس Buyssens الذين يعتبرون الدليل مجرد أداة تواصلية تؤدي وظيفة التبليغ وتحمل قصدا تواصليا. وهذا القصد التواصلي حاضر في الأنساق اللغوية وغير اللغوية. كما أن الوظيفة الأولية للغة هي التأثير على المخاطب من خلال ثنائية الأوامر والنواهي، ولكن هذا التأثير قد يكون مقصودا وقد لايكون مقصودا. و يستخدم في ذلك مجموعة من الأمارات والمعينات Indications التي يمكن تقسيمها إلى ثلاث: 1- الأمارات العفوية وهي وقائع ذات قصد مغاير للإشارة تحمل إبلاغا عفويا وطبيعيا مثال : لون السماء الذي يشير بالنسبة لصياد السمك إلى حالة البحر يوم غد. والأمارات العفوية المغلوطة التي تريد أن تخفي الدلالات التواصلية للغة كأن يستعمل متكلم ما لكنة لغوية ينتحل من خلالها شخصية أجنبية ليوهمنا بأنه غريب عن البلد.3- والأمارات القصدية التي تهدف إلى تبليغ إرسالية مثل : علامات المرور، وتسمى هذه الأمارات القصدية أيضا بالعلامات. وكل خطاب لغوي وغير لغوي يتجاوز الدلالة إلى الإبلاغ والقصدية الوظيفية، يمكننا إدراجه ضمن سيميولوجيا التواصل . وكمثال لتبسيط ما سلف ذكره : عندما يستعمل الأستاذ داخل قسمه مجموعة من الإشارات اللفظية وغير اللفظية الموجهة إلى التلميذ ليؤنبه أو يعاتبه على سلوكاته الطائشة فإن الغرض منها هو التواصل والتبليغ.

4- سيميولوجـــيا الدلالـــــة: يعتبر رولان بارت خير من يمثل هذا الاتجاه، لأن البحث السيميولوجي لديه هو دراسة الأنظمة والأنسقة الدالة. فجميع الوقائع والأشكال الرمزية والأنظمة اللغوية تدل. فهناك من يدل باللغة وهناك من يدل بدون اللغة المعهودة، بيد أن لها لغة خاصة. ومادامت الأنساق والوقائع كلها دالة، فلا عيب من تطبيق المقاييس اللسانية على الوقائع غير اللفظية أي الأنظمة السيميوطيقية غير اللسانية لبناء الطرح الدلالي. وقد انتقد بارت في كتابه " عناصر السيميولوجيا" الأطروحة السوسسيرية التي تدعو إلى إدماج اللسانيات في السيميولوجيا مبينا بأن" اللسانيات ليست فرعا ، ولو كان مميزا، من علم الدلائل، بل السيميولوجيا هي التي تشكل فرعا من اللسانيات".

وبالتالي، تجاوز رولان بارت تصور الوظيفيين الذين ربطوا بين العلامات والمقصدية، وأكد وجود أنساق غير لفظية حيث التواصل غير إرادي، ولكن البعد الدلالي موجود بدرجة كبيرة. وتعتبر اللغة الوسيلة الوحيدة التي تجعل هذه الأنساق والأشياء غير اللفظية دالة. حيث "إن كل المجالات المعرفية ذات العمق السوسيولوجي الحقيقي تفرض علينا مواجهة اللغة، ذلك أن " الأشياء" تحمل دلالات. غير أنه ما كان لها أن تكون أنساقا سيميولوجية أو أنساقا دالة لولا تدخل اللغة ولولا امتزاجها باللغة. فهي، إذاً، تكتسب صفة النسق السيميولوجي من اللغة. وهذا مادفع ببارت إلى أن يرى أنه من الصعب جدا تصور إمكان وجود مدلولات نسق صور أو أشياء خارج اللغة، فلا وجود لمعنى إلا لما هو مسمى، وعالم المدلولات ليس سوى عالم اللغة".

أما عناصر سيمياء الدلالة لدى بارت فقد حددها في كتابه" عناصر السيميولوجيا" ، وهي مستقاة على شكل ثنائيات من الألسنية البنيوية وهي: اللغة والكلام، والدال والمدلول، والمركب والنظام، والتقرير والإيحاء(الدلالة الذاتية والدلالة الإيحائية). وهكذا حاول رولان بارت التسلح باللسانيات لمقاربة الظواهر السيميولوجية كأنظمة الموضة والأساطير والإشهار... الخ ويعني هذا أن رولان بارت عندما يدرس الموضة مثلا يطبق عليها المقاربة اللسانية تفكيكا وتركيبا من خلال استقراء معاني الموضة ودلالات الأزياء وتعيين وحداتها الدالة ومقصدياتها الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والثقافية. ونفس الشيء في قراءته للطبخ والصور الفوتوغرافية والإشهار واللوحات البصرية.

9-المنهج الاثنوغرافي : مع تنامي الظاهرة الاتصالية في المجتمعات الحديثة، ظهرت الحاجة لوجود مقترب معرفي أنتروبولوجي لدراسة ظاهرة الاتصال من الناحية التطبيقية، وقد وجد هذا المقترب المعرفي أساسا نظريا من أنتربولوجيا الاتصال، ومن الدراسات الميدانية للإثنوغرافيا التي درست الأمم والمجتمعات دراسة وصفية ميدانية.

ومع تعاظم هذا النوع من الدراسات الميدانية، تحولت الإثنوغرافيا إلى دراسة المجتمعات الحضرية أو الصناعية، كما استخدم المنهج الإثنوغرافي كذلك في دراسة الثقافات الفرعية داخل المجتمعات الحديثة، وفي إجراء البحوث الميدانية على مؤسسات داخل المجتمع الصناعي الحديث.

ترتكز إثنوغرافيا الاتصال على محددات أساسية لكل من الاتصال، وتفاعل الإنسان مع أدوات ووسائل الاتصال، وكذلك دراسة الظاهرة الاتصالية المتنامية داخل المجتمعات الحديثة، خاصة مع بروز وتطور التكنولوجيا الحديثة، ووسائل الاتصال التقليدية وغير التقليدية.

1- لماذا إثنوغرافيا الاتصال:

تبحث إثنوغرافيا الاتصال في السلوك التواصلي واللغوي في سياق ثقافة معينة للفرد أو الجماعة، ويرتكز العمل في هذا المجال على ما يحتاج المتحدث إلى معرفته لكي يتواصل تواصلا مناسبا في مجتمع كلامي، كما يتركز أيضا على كيفية تعلم هذه المعرفة واستخدامها، وترّكز التحليلات على نظام الأحداث التواصلية في مجتمع كلامي، وكيف ينقل المعنى الاجتماعي عن طريق هذه الأحداث، ويضم نتاج مثل هذه الدراسات أوصافا إثنوغرافية لكيفية عمل التواصل في مجتمعات متنوعة، وكما يقول سافيل-ترويكا، فإن الاختصاصيين في الدراسة الإثنوغرافية للاتصال يبينون عملهم على فرض أن اللغة لابد من النظر إليها بوصفها ظاهرة اجتماعية، حيث تنظر الدراسة الإثنوغرافية للاتصال الثقافي أولا وقبل كل شيء بوصفها صيغة ثقافية تقع داخل المجتمع، مع إدراك أهمية تحليل النظام الرمزي نفسه، والعمليات الذهنية للمتكلمين به ومتعلميه.[1]

---

[1]- احمد شفيق الكاتب: البحث الإثنوغرافي، موقع الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين، www.wata.cc تاريخ الاطلاع 31مارس2019.

إنّ ما يميّز البحث الإثنوغرافي عن بقية الأبحاث الكمية هو عدم وجود فرضيات مسبقة ومحاور صارمة للأسئلة التي تقود البحث، حيث أن هذا الوضع بحد ذاته غير مريح لدى بعض الباحثين، ويؤدي إلى إشكالات خصوصا في بداية البحث، هذا ما حصل مع كثير من الباحثين الإثنوغرافيين الذين لم تتبلور أسئلة الدراسة معهم إلا بعد مرور فترة من الزمن استطاعوا من خلالها التخلي عن كثير من الأفكار التي توقعوها قبل دخلوهم الميدان، ولجئوا إلى أفكار أخرى شكل محور اهتمامهم أثناء وجودهم في الميدان، لكن هذا لا يعفي الباحث من تحديد إطار عام، وخطوط عريضة تمكن من تحديد زاوية النظر للبحث.[2]

وقد أوضح جورجن روش jurgenruesch، أنه عندما نقوم بدراسة الاتصال من أي موقع ثقافي، لا بد على الباحث أن يأخذ بعين الاعتبار في إستراتيجية عمله المعطيات التالية:

- **أعضاء المجتمع المبحوث يلتزمون بالتعميم في حديثهم حتى عن الثقافة الخاصة بهم.**
- **يجب أن يلاحظ الباحث التفاعل والاتصال بين أعضاء الجماعة كملاحظ محايد.**
- **يأتي فهم الباحث في جزء كبير من تفاعله الخاص مع بعض أعضاء المجموعة.[3]**

ويظهر جليا مما سبق أن كل فعل أو سلوك أو شيء ما يمكن أن يكون حاملا لرسالة اتصالية، وتعتبر بالتالي "الثقافة" نسقا محركا لكل سلوك اتصالي، وهو ما يؤكد عليه ايف وينكن كأنتروبولوجي، حيث أكدّ ان امتداد الاتصال في الأنتروبولوجيا، يجب أن يكون مرتبطا بامتداد الاتصال في الثقافات والجاليات على الدراسة الإثنوغرافية التي تقوم عليها الوقائع والنظريات الأنتروبولوجية في كل ثقافة أو جماعة، فإن السلوك والأشياء يتم تنظيمها واستعمالها، والتردد عليها، وتأويلها بشكل انتقائي وفق قيمتها الاتصالية.[4]

2- نموذج التحادث speakingلهيمس دال hymes dell:

---

[2]- نادر وهبة ، مرجع سابق، ص35.

[3]- انظر: بوجمعة رضوان: أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل، محاولة تحليل أنتروبولوجي، دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر03، السنة الجامعية 2006-2007، ص97.

[1]- yeveswinkin: anthropologie de la conomunication, de la théorie au errain, de boeck, université de bruxelles, 1996,p11.

هو أحد وأهم النماذج التي يعتمد عليها الإثنوغرافي في دراسته الاتصالية داخل أي جماعة من الجماعات، حيث اقترح هيمس دال نموذج speaking والذي حدّد له هدفا معينا، وهو تزويد الباحثين بإطار وصفي ومنهجي، يأخذ بعين الاعتبار التغير والتقلب الثقافي لأنساق الاتصال، والذي يسمح بمقارنة دور الكلام في مجتمعات مختلفة، ويحتوي هذا النموذج على ثمانية مكونات، حدّدها فيما يلي:

- **السياق setting: وحددها في مكان، وقت وأجواء الاتصال.**
- **المشاركون participants: كل المشاركين سواء كانوا أخذوا الكلمة أو لا.**
- **الغايات ends: ويقصد به هدف ونتائج اللقاء.**
- **الأفعال أو المنتوج acts: ويقصد به الرسائل في حدّ ذاتها، في موضوعها وفي شكلها.**
- **النبرة keys: خصائص الرسائل، وكذلك نبرتها.**
- **الوسائل والأدواتinstrumentalities: ويقصد بها وسائل الاتصال، وتتضمن الوسائط، والقنوات، اللغة المنطوقة، المغناة، المكتوب، المدونات، لغات، لهجات...**
- **المعايير norms: ممعايير التفاعل التي تضبط اخذ الكلمة وتوزيعها، ومعايير التأويل التي تأخذ بعين الاعتبار الخلفيات، والاختلافات الاجتماعية والثقافية.**
- **الأنواع genres: ويقصد بها أنواع وأنماط الخطابات، أي الفئات التي يصف من خلالها أعضاء جماعة ما نشاطاتهم اللفظية، قصص، حكايات غريبة، ماسي... الخ...[5]**

لقد عدّ هذا النموذج الهام ميلادا جديدا، وآلية جديدة تهيكلأنتروبولوجيا الاتصال بعيدا عن علم اللسانيات وعلم اللغة، وقد كان منتهى هذا النموذج كما أكد عليه هيمس دال: "هو أنه من واجب الإثنوغرافيا وليس اللسانيات، وواجب الاتصال وليس اللغة توفير الإطار المرجعي الذي فيه يمكن تحديد مكانة اللغة في الثقافة والمجتمع".[6]

---

[5]- رضوان بوجمعة، مرجع سابق، ص100.
[6]- المرجع نفسه، ص101.

وتظهر الكفاءة الاتصالية للباحث الإثنوغرافي من خلال قدرته على دراسة الاتصال داخل المجتمعات القديمة أو الحديثة، عن طريق البحث في مصادر الثروة الرمزية ضمن أطرها الثقافية والاجتماعية وإيجاد وسائل اتصال خاصة بذلك، وتقنيات اتصالية لا يمكن إغفالها في معاينة الظواهر الاتصالية ذات الخصوصية داخل هذه المجتمعات أو الجماعات.